

حركةُ الترجمةِ الحديثةِ

اتجاهاتُها ومُعْطَيَاتُهَا في الأدبِ ومناهجِ البحث

د. عبد الحكيم العبد

حركةُ الترجمةِ الحديثةِ

اتجاهاتُها ومُعْطَيَاتُهَا في الأدبِ ومناهجِ البحث

تأليف

د. عبد ا كيم العبد

أغسطس ١٩٩٧م

الفهرس

مقدمة.. ٤

الفصل الأول

الترجمة من اللغات الشرقية.. ٥
هوامش المقدمة والفصل الأول... ٨

الفصل الثاني

الترجمة من الآداب الغربية... ٩
هوامش الفصل الثاني ٣٠

الفصل الثالث

أثر الترجمة في الأدب العربي الحديث ٣٦
هوامش الفصل الثالث ٤٨

الفصل الرابع

الترجمة من الأدب العربي إلى الآداب العالمية... ٥٠
هوامش الفصل الرابع ٥٦
خلاصة الدراسة ٥٨
التنور المصري على صعيد الترجمة.. ٥٨
معالم – آثار - بيان مُجَدْول – خلاصة ٥٨
الترجمة: اتجاهاتها وأثرها في الأدب والنقد ومناهج البحث في العصر الحديث.............................. ٦٢
من الثقافات الشرقية: الفارسية والهندية والصينية ٦٣
من الثقافات الغربية: من الأدب اليوناني.. ٦٤
من الأدب الإيطالي.. ٦٦
من الأدب الألماني.. ٦٧
الترجمة عن الفرنسية.. ٦٨
من الأدب الإنجليزي ٧٠
من العربية إلى لغات العالم ٧٢
خلاصة الدراسة ٧٣

مقدمة

* الترجمة في عصرنا هي الوجه الآخر لاتصالنا بالغرب والعالم الخارجي في مقابل الاحتكاك المباشر بالغرب إبان الاستعمار، وهي متفجر لقضايا ثقافية ورياضية وأدبية لها في الحضارة العربية اعتبار خـاص، وقد نهضت في عصرنا هذا على أسس راسخة منذ ولي محمد علي حكم مصر سنة ١٨٠١م، ودرجت تنمـو نموا طبيعيا فوصلت الفكر في مصر والعالم العربي بالفكر الإنساني شرقيه وغربيه، وأسـهمت فـي إيجـاد أوعية أدبية جديدة، واستكمال مناهج في النظر الأدبي والنقدي، ثم أضحت تعطي مقابل الأخذ وتـصحح مـا شوهه الجهل والاستعمار من أمر الحضارتين: الغربية والإسلامية، وسيمثل الأثر المرتد منها علـى مـرآة المستشرقين ومن إليهم بعدا خاصا في هذه الدراسة لا يجحد فضل دراستين سابقتين عليها.

وقد افتتح المصريون عهد الترجمة في العصر الحديث بجهدهم الحثيث الجاد خلال مدرسة الألـسن [١] بيد أن السوريين سرعان ما تلقفوا منهم الرسالة إبان خوضهم تحت حكم فيصل ثورة العـرب، ومعـركتهم ومنها معركة التعريب كما في الاتجاه العلمي بالدكتوراة، وإن كان غلب عليهم الاتجاه التجاري فـي بعـض الأحيان، بيد أن المصريين جدوا من جديد في هذا المضمار فامتاز ما ترجموه بحسن الاختيار والتنوع، كمـا اتفق لهم اتجاهات وأهداف وخطط واضحة متكاملة إلى أن تضافرت الجهود العربية جميعها في إطار جامعة الدول العربية، فكان لها فضل تحقيق هذا الوجود العربي النامي الماثل اليوم.

ولقد عرفت الترجمة في القرن العشرين ثلاثة اتجاهات هي: الترجمة من التراث الشرقي، والترجمـة من التراث الغربي، ثم من التراث العربي إلى لغات العالم.

الفصل الأول

الترجمة من اللغات الشرقية

أ- فعن الفارسية نُقلت أشعار للسعدي والخيام والفردوسي وحافظ الشيرازي، كما عرفتْ المهابهاراتا الهندية وبعض أعمال طاغور وإقبال، وبعض الأدب الصيني طريقها إلى المثقف المصري والعربي بعامة، وقد حظيت الرباعيات بعناية خاصة. ففي مصر ترجمها محمد السباعي نظما، وكذلك فعل كل من أحمد رامي وأحمد زكي أبو شادي، وقد نظمها الأول عن الإنجليزية ونظمها الآخران عن الفارسية مع اطلاعهما على ترجمتها في الإنجليزية عند فيتزجيرالد.

ب- والصورة التي أطلت بها الرباعيات في ترجمة رامي ورد وصفها في حديثنا عن مدرسة الديوان بالدكتوراة، حيث اتخذها المازني مادة تطبيقية لنقده، لكن صورتها الشائعة في المختار منها للغناء عند أم كلثوم توازن القلق النفسي والإقبال على اللذة بشعور بالذنب وابتهال إلى ا في نهاية اللحن، وقد طبعها كاملة في ١٦٨ رباعية، ولها في نفوس القراء أثر كبير، وقد ترجمها رامي سنة ١٩٢٤ بعد اطلاعه على ترجمة فيتزجيرالد (١٨٥٩ م) وكذلك اطلع رامي وهو مبعوث من دار العلوم إلى باريس على أصول لها في مكتبات العالم [٢].

وأما صورتها في ترجمة أبي شادي فلم يعرض لها الغناء بانتخاب، فوردت مجترئة في الغالب – جريا على العرف الخُلُقي العام – في ثمانية أقسام هي: في الخمرة، في الكون، في التذمر، في العظمة والأخلاق، في الحكمة والشك، في العشق، فيما خاطب به ا ، ثم في مطالب شتى. وقد ترجمها أبو شادي في بحرها الأصلي (الرمل) في ١٣٠ رباعية [٣]. واهتمام التراجمة المصريين بالرباعيات مواكب لصنيع غيرهم من التراجمة العرب والشرقيين الذين أولعوا بها أيضا[٤]. وكذلك تتابعت دراسات المصريين الجامعية حول الأدب الفارسي وعكست الاهتمام المتزايد به في مصر.

ج- ففي سنة ١٩٣٢ م نشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر ملحمة الشهنامة للفردوسي؛ وكان نقلها إلى العربية في القرن السابع الهجري الفتح بن علي البغدادي، وفي عصرنا هذا صححها ونظم بعض مقاطعها عبد الوهاب عزام، ونال بها درجة الدكتوراة من جامعة القاهرة في السنة المذكورة [٥] وكان قد نظم قطعا منها من قبل عباس مرزا خليلي.

د- وفي سنة ١٩٣٦ م اشترك الشاعران السكندريان عثمان حلمي وخليل شيبوب في إصدار ديوان بعنوان "قبس من الشرق" ترجما فيه عددا من قصائد الهند والصين وإيران[٦].

هـ- وفي سنة ١٩٤٣ م ترجم إبراهيم أمين الشواربي أغاني شيراز (وكان حافظ الشيرازي وديوانه موضوع رسالته للدكتوراة في جامعة القاهرة في التاريخ المذكور)[٧].

وتقع غزليات حافظ في ٤٩٦ مقطوعة كل منها يسمى غزلاً، والغزل أو الغزلية في الشعر الفارسي منظومة قصصية تتراوح بين سبعة أبيات وخمسة عشر بيتًا، وموضوع هذا الفن هو الغزل غالبا، وقد يكون

في غرض آخر، ويلتزم الشاعر ذكر لقبه الشعري أو تخلصه كما يقول الفرس والترك في آخر بيت من الغزل.

وقد صدرت الترجمة في مجلدين ضخمين فيما يقارب الستمائة صفحة، ظهر العدد الأول مع مقدمة لطه حسين اعتد فيها العمل (طرفة أخرى نفيسة رائعة تمتع القراء العرب وتزيد ثروة الأدب العربي وتثير في نفوس الكثيرين ألوانًا من التفكير المنتج وفنونًا من الشعور الخصب). لكن التقليد الفرنسي التركي في التخلص هذا لم يكن له أثر في الشعر في حقبتنا التي ندرسها لمنافاته لذوقها العام[8] فضلاً عن مخالفته تخلص العرب التقليدي[9].

و- وفي سنة ١٩٥٠ م قدم السيد محمد عبد الحليم الفزاري "نظام الملك وكتاب سياسة نامة في ماجستير بإشراف الأستاذ عبد الوهاب عزام والدكتور يحيى الخشاب بجامعة القاهرة[١٠].

* وهكذا اقتصر الأثر الفارسي الهندي في الأدب العربي على الأشكال الغنائية ذات المزاج الشرقي الخاص، وهي تمتاز بمذاق فلسفي بسيط وتحرر من المناسبة وتنوع في القافية، وإن علقت بها تقاليد ممجوجة، ويبدو أن أثرها كان محض أثر غنائي وأكاديمي محدود، ولكنه كان كافيا لإنعاش الشعور بالشرقية، وربما كان كافيا للحد من الوقيعة في الدرس الأكاديمي الحديث بين الثقافة العربية وبين توائمها الشرقية، ولا سيما الفارسية والتركية.

هوامش المقدمة والفصل الأول

- من الدراسات المتخصصة في هذا كتاب جاك تاجر حركة الترجمة الأدبية في مصر ١٩٤٦ م، وكتاب د. لطيفة الزيات: الترجمة الأدبية في مصر ١٨٨٢ – ١٩٢٥ م.

١- سيلي دور رفاعة في الترجمة اليونانية في الفصل التالي، وقد سبق معالجة جهده هذا في إطار النزعة الوطنية في الفصل الأول للدكتوراة، "رفاعة ومدرسة الألسن من كتاب د. الشيال، "رفاعة رافع الطهطاوي ١٨٠١ – ١٨٧٣ م، ط دار المعارف، وكذا كتاب السيد صالح مجدي "حلية الزمن بمناقب خادم الوطن"، طبقات المتخرجين من الألسن، ص ٢٥ – ٣٣ وهو من تحقيق الشيال.

٢- النسخة المطبوعة بدار غريب للطباعة – والمقدمة ص ٥–١٣.

٣- قضايا الشعر المعاصر ط ١٩٥٩، ص ٢١٣ – ٢٣٨.

٤- في سنة ١٨٤٦ م ترجم جبرائيل مخلع ديوان كلستان للسعدي وفي سنة ١٩١٢ م نظم وديع البستاني رباعيات الخيام معتمدا بالأكثر على فيتزجيرالد، كذلك ترجم المهابهاراتا الهندية، وقد ترجمها من العرب أيضا أحمد حامد الصواف نثرا، وترجمها توفيق مفرح نثرا شعريا، وعن الفارسية ترجمها جميل الزهاوي وأحمد الصافي النجفي وعبد الحق فاضل الشاعر التركي، وقد ترجمها هذا شعرا ونثرا. الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث للمقدسي، ص ص ٣٦٧ – ٣٨٥، وراجع الدراسة ص ١٨١، ١٨٢ + ص ١٨٥ – ١٨٧.

٥- سجل رسائل الدكتوراة – جامعة القاهرة.

٦- مجلة الأدب، عدد ٨ س ٦٥ ص ٤٦٥.

٧- سجل رسائل الدكتوراة – جامعة القاهرة.

٨- كتب وشخصيات لسيد قطب، ط الشروق (٦٩) وكذلك سجل رسائل الدكتوراة بكلية الآداب جامعة القاهرة، وقوله: (أخرى) إشارة إلى ترجمة لطفي السيد "كتاب الأخلاق لأرسطو" كما سيرد.

٩- التخلص هو الخروج من غرض إلى غرض في القصيدة أو المقالة تدريجيا وبتخيل لطيف بديع، عالج ذلك الدكتور موافي في فصل "ما بين الشكل الفني والموضوع في الشعر والنثر من فروق"، ونقل قول ابن رشيق عن الانتقال الذي لا يستن هذه السنة في الشعر بأنه يسمى طفرا أو انقطاعا، أما الختام العربي للقصيدة فهو عندهما أيضا غير ذلك التخلص الفارسي التركي؛ لأنه في القصيدة العربية عِدل مفتاحها أو مطلعها الجزل أو الملِفت للأسماع، الدال على معنى من القصيدة، وقد اشترطوا في الانتهاء أن يكون محكما لا يمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه، وقُفْلاً على مفتاح القصيدة . من قضايا الشعر والنثر لموافي، ص ٤٥.

١٠- سجل رسائل الدكتوراة بجامعة القاهرة (كلية الآداب).

الفصل الثاني

الترجمة من الآداب الغربية

من الأولى أن نأتي بأثر الترجمة من الفرنسية فالإنجليزية قبل ما نورده من الأثر اليوناني والإيطالي؛ نظرا للسبق والتنوع في الوارد من الثقافة الفرنسية، وللغزارة والأثر الكيفي للمترجم عن الإنجليزية، بيد أننا نذكُر الأثر اليوناني والإيطالي وغيرهما فيما يحتمله البحث من غرض وجيز لكي نفرغ لكلٍ من الأثر الفرنسي والإنجليزي ونوضحهما في شيء من البسط.

كانت مرحلة البداية القوية لحركة الترجمة على يد الطهطاوي في ربط التراث اليوناني بالتراث العربي من جديد [*]، وقد جدت دراسات؛ منها قول الدكتور محمد غلاب ١٩٥٢ م بعدم صحة جميع ما نقل عن اليونان في العصر الحديث باستثنائه نقل البستاني وطه حسين أستاذ الباحث وباستثنائه لنفسه بطبيعة الحال – هذا مع أنه هو نفسه معول على الشراح الغربيين الفرنسيين والألمانيين الذين عددهم، وكذا بدا منقطعا عن النقل الإسلامي [1] الذي سنذكره فيما بعد، ومع ذلك فسنورد تتبعا للمترجم عن اليونان في الأدب العربي الحديث إبرازا للجهد لذاته، وباعتباره في إطار معركة النهضة وحركة التعريب دليلاً على حيوية لم تنعدم رغم القصور الذي يوصف به النقل عن اليونان إلى سنة ١٩٥٢ م، وربما إلى ما وراءها، ومهما يكن فإن تجميعا لهذا المترجم والنقودِ المنصبةِ عليه كفيلٌ إذا اعتُني به بعد الخمسينيات أن يمثل إضافة للتراث العربي، وقد يدفع به إلى آفاق إنسانية أرحب، فأما واهتمامنا بالربع الثاني من القرن العشرين فليس لنا إلا أن نورد الأمر على ما هو عليه، معوِلين فيه التفاسير التي يحتملها في ضوء ما توافر لنا من أدوات ذلك في جوانب البحث الأخرى.

درس الأستاذ محمد خاف ا أحمد العناية بالتراث اليوناني في حركتي الترجمة الإسلامية المنظمة في العصور الوسطى وفي العصر الحديث، وقد سلم بأن الغالب على المترجم من اليونان قديما كان الفلسفة، وأن رفاعة والمفكرين المحدثين من بعده رأوا أن يستكملوا نقل التراث اليوناني بنقل آدابه، ولا سيما تلك التي لم يستطع المترجم القديم نقلها لعجمته شأن النساطرة، أو لغموض مصطلحات أدبية بعينها على غيرهم ولا سيما ابن سينا في بعض شروحه وابن رشد فيما هوجم فيه من نقوله ونقداته.

"كانت ترجمة كتاب أرسطو في (البلاغة) "الريطوريقا" قد أثرت بعض الأثر في تطور مباحث البلاغة العربية (لكن) "ترجمة كتاب البويطيقا" في صنعة الشعر لم تترك أثرا ما في الفكر الأدبي (لأن) المترجمين السريان كان يعوزهم الفهم الصحيح لظواهر الأدب اليوناني وصلته بالحياة اليونانية".

وقد عرف "شراح أرسطو ودارسوه من فلاسفة المسلمين – فيما عرضوا له من فلسفة المعلم الأول – نظرياته في كتاب الشعر في أسلوب عربي واضح (لكنهم) لم يبرءوا الغموض حين تعرضوا للموضوعات البعيدة عن الحياة والفكر العربي، كظواهر المسرح اليوناني والتفرقة بين التاريخ والشعر، وحين حاول ابن رشد أن يطبق القوانين الكلية من نظرية أرسطو على الشعر العربي كانت النتيجة أن اختفت معالم النظرية الأصلية في الدراما وفنونها[1].

وفي العصر الحديث قد كان فيما قرأه رفاعة أثناء وجوده في فرنسا كتاب في سير فلاسـفة اليونـان، وآخر في التاريخ العام يشمل "سير قدماء المصريين والعراقيين وأهـل الـشام، واليونـان وقـدماء العجـم والرومانيين والهنود، وفي آخره نبذة مختصرة في علم "الميثولوجيا".. علم جاهلية اليونان وخرافاتهم كما نُقل من عبارة رفاعة[٣].

ولقد كان من بواكير أعمال رفاعة ترجمة كتاب في الأنثروبولوجيا والاجتماع عنوانه "ديـوان قلائـد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر" [٤] وقد زود رفاعة مقدمته بشرح الكلمات الغريبة التي توجد في الكتاب مرتبة على حروف المعجم، مضبوطة حسب النطق الفرنسي - في الغالـب – ومفـسرة، ومعظمهـا أسماء ممالك وبلدان وبحار وطوائف من الناس، وبعضها أسماء أعلام مشهورة، وفيها طائفة قليلة من أسماء الأشياء ومصطلحات العلوم، عربها كما نقل من قوله "بأسهل ما يمكن التلفظ به على وجه التقريـب، ونظـر إليها نظرته إلى الدخيل من الألفاظ المعربة الفارسية، ودعا المترجمين إلى احتذاء صنعه تسهيلاً على الطلاب وإعانة على العلم والفهم [٥].

أدخل رفاعة في هذا القاموس أسماء أرباب أسطورية مثل "أروفـه" و"سـاترن" وأسـماء أشـخاص.. وعرف بالمهم منهم مثل "أوميرس" شخصه وزمانه وشاعريته وأعماله.

وقد رأى محمد خلف ا أحمد أن قيمة ترجمة رفاعة لهذا الكتاب ومثله تقدر بما أضافته من معرفـة وتصورات جديدة وقوالب لغوية منبثقة من التراث أو مطوعة فيه، وكذلك قدر الباحث قيمة هذا النـوع مـن المعرفة بمقدار الجهود التي بذلها رفاعة وتلاميذه فيها، ومنها أنه خصص لها مكانًـا فـي مجلـة "روضـة المدارس" التي كان يشارك في تحريرها علي مبارك وعبد ا فكري وغيرهما من الباحثين.

ويعتبر كتاب "بداية القدماء وهداية الحكماء" [٦] ثمرة لهذه الجهود، قدم له رفاعة بملاحظة قصور كتب التاريخ العربية عن التأريخ لليونان، وقد برز احتفاله بهم بما رأى من أثرهم في نهضة أوربا وآدابها "شاربة مشربها" وذكر أنه أعطاه "لعدة أفراد لتعريب المراد في أقصر ميعاد"، ومنهم مصطفى أفندي الزراعي الـذي ترجم تاريخ اليونان.

وقد تولى رفاعة بجانب إشرافه على تصحيح الترجمة ومراجعتها على أصولها إكمال تـاريخ الخليفـة والعرب معتمدا على المصادر العربية، وعلى الأخص تاريخ أبي الفدا. فإذا الكتاب كما نجيز القـول – بعـد تمامه كأنه في جملة ما كتب العرب الأقدمون، شاربا مشربهم أيضا.

أورد الكتاب أخبار الأنبياء وتاريخ قدماء المصريين والسوريين والسريانيين والبابليين والعجم الهنـود، ثم أفاض في تاريخ اليونان وخرافاتهم وفتوحاتهم وآدابها وفلسفتها، وبعد أن ذكر اسـم العـرب وأحـوالهم وملوكهم قبل الإسلام عاد إلى الخرافات اليونانية بالتفصيل في خمسين صفحة، هذه الخرافات التـي يتوقـف عليها فهم الآداب الإفرنجية، ويبدو فيها إفراط العبارة في إطلاق اسم ا على كل ذي شـأن عنـدهم كـ ـ "بخوس" و"زحل"، وقيمة التسمية الثانية – مثلاً، وإن كان ظاهرها كفرا صراحا – أنها رمز للزمن في تسلطه على الأشياء ودوامه وفتكه بأهله، وغير ذلك من الدقائق الخفية والنكات الأدبية، وبهذا الفهم المستنير حـرر الطهطاوي – في تقديرنا - الخرافات من شبهة التوثن وأبقى على قيمتها الفنية غير مختلطة [٧]: كمـا فعـل

الجاحظ والمعري وغيرهما من القدماء حين رووا أخبار الجاهليين الخرافية المماثلة وبثوها في أعمالهم، وهم في أمن من شبهة التوثن، إلى غير ذلك من أخبار المجان والزنادقة ومن إليهم، لقد اتضحت لنا بذلك أصـالة الطهطاوي، كما اتضحت بمنحاه المقارن في دراسته، فحين يرد ذكر أنصاف الآلهة، وهم فحول الرجال الذين كان اليونان يعتقدون أنهم متولدون بين الباقي والفاني أي بين إله وبشر، يعقب رفاعة بالإشارة إلى ما ذكـره الدميري في كتابه حياة الحيوان عن الجاحظ، ولم يهمل رفاعة رأي الباحثين الأوربيين الذين يـرون تفـسير الخرافات في ضوء التاريخ، كما اتضح ميله إلى المكاملة والمقارنة معا في تذييله لهذا الكتاب بمختصر فـي "ميثولوجية" المصريين، إذ تحدث عن أشهر معبوداتهم "أوزريس" و"إيزيس" و"هوروس" و"أنوبيس" و"كانوب" و"ايبس" وصور هذه المعبودات والصلة بينها وبين آلهة اليونان.

وقد رسم رفاعة في مقالة خامسة في هذا الكتاب كما يقول الباحث "الخطوط الكبـرى لتطـور الأدب اليوناني" وهي خطوط يعوزها – في قول الباحث – الفهم الحقيقي لفنون اليونان الأدبية وللدراما بوجه خاص، ولا يستطيع القارئ أن يخرج منها بفكرة حقيقية واضحة عن الأدب اليوناني [٨] وإن كان الباحث لـم يعلـل ذلك، مع أنه ذكر إتقان المترجم للغتيه ومنهما الفرنسية التي يترجم عنها اليونانية.

وفي مجال القصة الأسطورية المتكاملة فحص الباحث مقالتي كتاب رفاعة "مواقع الأفلاك فـي وقـائع تلماك" الذي نقله الطهطاوي عن كتاب Les Ave,tures de Te´Le´maque, Par Fe´ne´lon رجح الباحـث أن هذا أول كتاب من نوعه في تاريخ الترجمة العربية قديمها وحديثها، وأنه يمثل أول محاولة جريئة في تقـديم الأدب الأسطوري اليوناني إلى الثقافة العربية، وأورد قول رفاعة في فائدة الكتاب التربوية في مدارس أوربا، ورغبته في الانتفاع به في التعليم المصري، وهو نفع يرى عدد من الدارسين المحدثين أيضا أنه أريد به نقد الخديوي عباس (الأول) الذي بسببه يرى عدد من الباحثين أن إرسال رفاعة لخدمة التعلـيم فـي الـسودان وإحلال علي مبارك محله في مصر كان نفيا أو إبعادا.

والمعروف أن فيلون ألف الكتاب "لدوق بورجوني" حفيد لويس الرابع عشر تهذيبا للأميـر الـصغير، انتقد سياسة جده فيه بطريقة أدبية – والمنحى نفسه هو منحى مؤلفينا القدامى؛ ومنهم ابن المقفع، وهـو مـن الذين رأوا في هذا النوع من الأدب تهذيبا للحكم بالحكمة، وكذلك فإن من دلائل أصالة رفاعة فـي الانتفـاع بهذا الزاد المترجم ثقته بعمله لكونه عرف أن لأدب القصص وأخبار السابقين شأنًا في القرآن، وأن للعربيـة قدرة على الوفاء بحاجات أمثال هذه التراجم لخصب قاموس تلك اللغة وسعة وسائل التعبير فيها، ولم يحفـل الباحث ببيان مدى دقة الترجمة، ولكنه حكم بأن رفاعة – في وقائع تليماك قد نجح فيما قصد إليه من اتخـاذ اللغة العربية أداة للكتابة، وفي أسلوب واضح يساعده قاموس واسع ومقدرة ظاهرة على التعبيـر ومـسايرة حركاته وأحداثه [٩].

وكما بينا في فصلنا هذا المخصص للترجمة أنه لن تعود المشكلة في ترجمة القصص خاصة المـشكلة اللغوية أو الشكلية، فقد طُوعت اللغة واستعيرت الأشكال، ولكنها ستظل مشكلة أسلوبية فنية إلى النهاية، ولها نعود في الفصل الثالث، وأما في جانبها الحضاري، فالذي تبين لنا أن من خالفوا الطهطاوي لم يحذوا حـذوه في ربط المترجم عن اليونان بسوابقه في الحضارة العربية، وفوق ذلك فإن أحدا بعد ابن حزم لم يعن ببيـان

القرابة القائمة بين الفكر الإسلامي والفكر اليوناني التوحيدي في الفكر السابق عليهما جميعـا وهـو الفكـر الحنيفي بحسب ما رأينا في بحث آخر.

كان أهم ما نُقل من الفكر اليوناني ملحمتاه الشهيرتان الإلياذة والأوديسة، وقد امتاز النقل المطبوع فـي مصر بالتصرف والاستفادة من النقول السابقة [١٠].

كما فعل دريني خشبة، فإنه نثر الإلياذة وتصرف في بنائها ليقربها من ذوق العـصر، منحـى وليـام تشابمان في القرن السابع عشر [١١] وكانت ترجمة أمين سلامة للإلياذة ترجمة دقيقة ظهرت في مطبوعـات كتابي، كما طبعت الهيئة المصرية العامة للكتاب له "رحلات أوديسيوس".

وعلى الصعيد الفلسفي نقل الأستاذ أحمد لطفي السيد، من خلال الفرنسية من معتكفـه أثنـاء الحـرب العظمى الأولى وبعدها كتب الأخلاق لأرسطو، وقد تضمنت الترجمة مقدمة المتـرجم الفرنـسي فـي ١٦٦ صفحة من القطع الكبير، وتصدير المترجم العربي في ٥٦ صفحة، وقد عرف فيه بحياة أرسطوطاليس وكتبه وفلسفته عبر القرون، وقد صدرت الترجمة في مجلدين من ٣٢٦، ٣٧٦ صفحة، وقد رفع العمل من مكانـة المترجم ونفوذه الأدبي، ويبدو أنه سد فراغًا في الفكر الذي كان مشدودا لأخبار الحرب والنزاعات الحزبيـة بعدها [١٢].

ولهذا جعله الأحرار الدستوريون مصدرا لاستلهامهم لعنوان جريدتهم الحزبية "السياسة".

نقل الدكتور طه حسين كتاب أرسطو (نظام الأثينيين) وكانت ترجماته من المأساة والفكاهة المـسرحية اليونانية محاولات منه لدفع سوء الحظ الفاحش الذي ذكر أن الأدب اليوناني يلقاه فـي مـصر [١٣]، تـرجم "إلكترا" وإياس و"أنتيجونا" و"أوديبوس" لسوفكليس، كما ترجم ولخص لإيسخيلوس: المتـسجيرات والفـرس، والسبعة يهاجمون طيبة، وبرمثيوس مغلولاً، وأجاممنون، والمتقربون، والصافحات، وهي مآس أيضا، وقـد ظهر عشر منها في مجلد سنة ١٩٢٠ م بعنوان "صحف مختارة من الأدب التمثيلي عند اليونان"، وألحق بهـا أوديبوس تحت عنونة معدلة ٣٩، وربما أفلح هذا فقط في فتح الباب لمن جاءوا على أثره لكي ينظـروا فـي الخرافات أو الملاحم العربية، كما بينا من جهد الزيات ومدرسة الأدب الشعبي بجامعة القـاهرة، وهـو مـا استثمره الإعلام كما سنورد أيضا.

وقد كانت ترجمة طه حسين عن المسرح اليوناني بمثابة اطراد لما ترجم عن المسرح الأوربي بعامة، ولكن لا تظن أن دوره ودور لطفي السيد من قبله أو غيرهما في تقديم كتب أرسطو خاصة قد أثمر مثل تلك الثمرات الخطيرة أو العظيمة من التأليف في الحكمة والكلام كما كان الشأن فـي الثقافـة العربيـة قـديما، وباستثناء حددناه في السياسة صدد مفكري حزب الأحرار الدستوريين، وربما عزز ذلك من نشر مثل كتـاب (منهاج العابدين وبداية الهداية) "للغزالي" [١٤] وكذلك لأن مترجمينا عن اليونـان حـديثًا لـم يحـذو حـذو الطهطاوي ومدرسته في ربط جهدهم بخطة المسلمين السابقين وبجهد الأوربيين المحدثين.

وتدل النقود التي صبها طه حسين وأصحاب الديوان على بعض شعراء التقليد على أنهم لهجوا بـذكر أرسطو واليونان دون بصر بحقيقتهما الفنية [١٥] وإن خَلَيت أرستقراطية لطفي السيد وتعمقه في بحثه ألبـاب المتشوقين إلى الأدب الغربي لجدته وحظوته في إبانه من هذا العصر [١٦].

وكان المنطق الأرسطي وعلم الأخلاق عرفا طريقهما إلى مناهج الدراسة، فقد درس في الأزهر المنطق في "سلم الثبوت" و"إساغوجي" ومن شيوخه الذين تصدوا لهذا العمل الشيخ عاشور الصدفي الذي درس شرح السيد الجرجاني علي إيساغوجي في أواخر أيام الأستاذ الإمام محمد عبده في الأزهر [١٧] وكذلك درس المنطق في المدارس الثانوية.

وقد عرفت بعض المسرحيات طريقها إلى الجمهور كأوديب ملكًا التي ترجمها طه حسين، وكأجاممنون لإسخليوس، ترجمها لويس عوض، لكي تتابع الترجمة من إسخليوس بعد ذلك، ومنها ترجمة إبراهيم سكر سنة ١٩٦٦م "الفرس" و"الضارعات" وهو أيضا قد ترجم كتاب (المسرح الإغريقي) وكذا ترجم علي حافظ من إسخليوس (المستجيرات).

أما أفلاطون فقد وجدت محاوراته طريقها إلى القارئ العربي عن طريق ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، فقد أصدر سنة ١٩٣٦م الأجزاء الأربعة الأولى منها، كما أصدر الجزء الخامس سنة ١٩٥٥.

وفي الوقت نفسه كان الدكتور زكي نجيب محمود مشغولاً بقصة الفلسفة اليونانية، فأصدر الأجزاء الثلاثة الأولى منها سنة ١٩٣٥، كما أصدر الجزء الرابع سنة ١٩٥٨، ولا تزال للدكتور زكي نجيب محمود يد مذكورة في الترجمة خلال الإنجليزية كما سيرد.

- لكن الترجمة عن اليونانية كانت – إلى حد ما – داعية إلى التذكير بماضيها في التاريخ الإسلامي، لذا وجدنا نقادنا يبدون اهتماما بالفكر اليوناني لذلك السبب القديم ولمكانه من الحضارة الحديثة، ولكنه اهتمام قد استغرق جانبا كبيرا، منه ضرب من التحقيق والمقابلة بين ترجمات العرب القديمة وبين ترجمات الأوربيين الحديثة، وهذه قد قللت كثيرا من قيمة الترجمات العربية وعابتها.

وقد بدأ العقل العربي يتقبل الفكر اليوناني الأخلاقي والمنطقي لخاصية العموم فيه، إلا أن الأساطير اليونانية أعوزت النقاد إلى مضاعفة الجهد لكي يبينوا عن الملاحظ الجمالية الإنسانية فيها، محررة من التهويل والتوثن الذي يعلق بها، ولكن كتابنا ما كادوا يفعلون حتى كان العصر قد تخطى فن الملاحم على إطلاقه، إذ ولى عهد الطفولة البشرية الحالم، ولم يعد لفن الملحمة رواج، وكذلك ما عدت محاولات بعض الأدباء العرب إنشاء ملاحم من تاريخهم أن جاءت قصائد مطولة لما ألفوه هم من شعر غنائي أو نظم من قبيله.

لكن تناول فن الملحمة على هذه الأنحاء السابقة قد لفت النظر إلى ملاحمنا الشعبية، وأتى بها من قاع المجتمع إلى كرسي المعهد والجامعة، وقيمها تقييما جديدا، ونفع بها المثقفين الذين حرموا منها أو تعالوا عليها من قبل [١٨]، أعادها المذياع ووسائل العرض الحديثة إلى الناس مصفاة مثراة بوسائل العرض الحديثة، وكذلك ساعد هذا الاتجاه نفسه على إعادة النظر في أشعار السذاجة العربية الأولى، واكتشاف مقوماتها الفنية المخلدة لها.

- ويعتبر نقد كل من العقاد والمازني لابن الرومي، كما يعتبر شعر العقاد وقصص الحكيم وطه حسين في أسطورة شهريار وشهرزاد، والتسمية باسم أبوللو في الجماعة المعروفة - بلا ريب من آثار الصلة في أدبنا ونقدنا الحديثين بالأدب اليوناني وبالأدب الأسطوري كما جاء في مواضعه.

(ب) ما كاد تراجمتنا يمدون بصرهم إلى الأدب الإيطالي أيضا حتى وقفهم بعضه علـى وشـائج قديمـة داخلت هذا الأدب من الأدب العربي القديم، ولما لم يكن للغة الإيطالية نَفَاق في مصر عول في الغالب علـى التراجمة السوريين (أعني اللبنانيين والسوريين).

ففي سنة ١٩٢٦ م ترجم عبود راشد الجزء الأول من الكوميديا الإلهية (الجحيم) وفي سنة ١٩٣١ تـرجم الثاني (المطهر) ثم ترجم الجزء الثالث (النعيم) فإذا ما حل عام ١٩٣٨ ترجمها المحامي أمين أبو شعر فـي نثر شعري محاكاة للأصل، وصدرت عن مكتبة الأزهر؛ مما يسر لبنت الـشاطئ، وعيـسى الطبـاع مـا استعصى على طه حسين من درس الغفران، كما بينا صدد حديثنا عن رسالة طه حسين في المعري.

لكن مصر ظفرت بفيلسوفي إيطاليا الناقدين "كروتشه" و"ألباريني" وأولت عملين هـامين لهمـا اهتمامـا ملحوظًا، وفي سنة ١٩٤٧ طبعت القاهرة كتاب "بندتو كروتشه" "المجمل في فلسفة الفن" من ترجمة الـدكتور سامي الدروبي، وفي نفس السنة ظهرت خطة الأستاذ أمين الخولي الشاملة لتطوير الدرس البلاغي العربـي بتخليته من السرف في الاصطلاح والمباحث الفقهية، وتحليته بمناحي العرب البيانية في درس النظم العربـي واتجاهات الغربيين في البحث التاريخ والنفسي والأسلوبي، وذلك في كتاب "فن القول" الذي أخرجـه تلاميـذ هذا الشيخ النابه كما وصِف من محاضراته عليهم.

والمؤلف بعد قد استعار عنوان كتابه وبعض خطته من مبحث كتاب في القول Art de diere مـن كتـاب ألباريني، الأسلوب الإيطالي Stelila Italiano وعمله ذاك يمثل استجابة من الخولي لدعوة الإمام محمد عبـده إلى تقديم الدرس الأدبي والبلاغي بأساليب الغرب الحديثة في إطار الخطة المفصلة في بحثنا في إطار آخر.

وقد تواترت الاجتهادات التي تثبت تأثير الأدب العربي في الإيطالي على إثر محاولات رائدة ظهرت فـي الغرب نفسه من قبيل مجهود المستشرق الكاثوليكي "ميجيل أسين" المتابع منذ ١٩١٩م لإثبات دلائـل تقليـد دانتي للمعري وغيره من الأدباء المسلمين تقليدا يشمل التفاصيل ويثبت أثر الإسراء والمعراج الواضح فـي الكوميديا، بل أثر الإسلام في كتّاب العصور الوسطى قاطبة من قبل دانتي نفسه، أو ذلك الذي سـماه جـلال مظهر "انغماس فعلي من أوروبا إلى أذنيها في عصر استعرابها" [١٩] وقد أشبه جلال مظهر في ذلك عبـاس محمود العقاد وعبد الرزاق نوفل والدكتور علي سامي النشار والدكتور مصطفى الشكعة وغيرهم [٢٠] وهو ما سيلي عده بروكلمان دورا حضاريا أدته العربية كاملاً للإنسانية في العصور الوسطى.

هذا رغم ما حاولته الدكتورة بنت الشاطئ من تهوين لهذا الأثر المشهود به للمعري في دانتي ومخالفتهـا "لمجيل آسين" فيه بالنظر إلى أن "آسين" كان يهدف إلى إبراز الفضل منـسوبا إلـى المـسلمين باعتبـارهم إسبانيين، وبالنظر إلى سمات الجد الأدبية في عمل دانتي ومقابلات ذلك الساخرة في عمل المعري.

لكن المصريين عادوا فمدوا أبصارهم إلى الأدب الإيطالي وعدد من الآداب الأوربية غير الشائعة، وترجم لهم أنيس منصور من "مورافيا" مائة قصة قصيرة [٢١].

* وهكذا بدأت الترجمة تثمر نظريات جديدة أو تجدد من نظريات قديمة وتكشف عن وشائج ثقافية وعلاقات إنسانية دائمة، ولم تعد مجرد نقل واطلاع، وكذلك استعصت على التعصب والاستعمار.

(ج) حظيت الترجمة من العربية إلى الألمانية، بل تأثير الثقافة العربية والشرقية في الأدب الألماني بعناية تستحقها خارج إطار بحثنا كما سنشير، أما ما ترجم عن الألمانية - مثله مثل ما تُرجم عن اليونانية في اللغة العربية - فمدين كله أو معظمه بالفضل في نقله للغتين الفرنسية والإنجليزية، كذلك كان فضل التراجمة العرب الآخرين في هذا الميدان واضحا[٢٢].

وقد ترجم محمد عوض محمد بعض روائع جيته وهي فاوست وهرمن دوريته. كما ترجم أحمد حسن الزيات آلام فرتر (سنة ١٩٢٠) وترجم العقاد وعبد الرحمن بدوي عن جوته أيضا الديوان الشرقي، وترجم بدوي الأنساب المختارة، وعن السندروف حياة حائر بائر، كما ترجم لفوكيه، كذا ترجم إبراهيم ناجي دعاء الراعي لهيني، وترجم محمد عبد اللطيف النشار (نظما) تمثال الحب لهيني أيضا، ويبدو أنه بخلاف الغموض أو الصعوبة التي شكا منها بعض أدبائنا المعدودين في الثقافة الفلسفية الألمانية، قد كانت الصلة بالثقافة الألمانية معترضة بالحقبة التركية ذاتها، وهذا ضد منطق التاريخ، بالنظر إلى الصلة العضوية بين الإمبراطورية العثمانية وألمانيا قبل انهيارهما في الحرب الأولى، والصلة الروحية التي قلنا إن جيته ونتشه، وكذلك هونكه تعشقوها في الآداب الشرقية، وقاموا بالنقل عنها والتبشير بها في الغرب[٢٣] فلما كان الغزو الفرنسي والإنجليزي صار للفرنسية والإنجليزية مكان في الشرق لم يشغله شيء من الألمانية من قبل، هذا رغم الدور الحاسم لحركة التعريب القومية الشامية سنة ١٩١٨م كما في الاتجاه العلمي، وغلب التأثير الفرنسي على الرواية والبحث، وغلب الإنجليزي على النقد والشعر، وقل انتفاع العرب بما أسهم به مفكرون أحرار ألمان ككارل بروكلمان، رغم ظلامية المستشرق في نظره للأدب بمعناه الخاص؛ وفرانتز روزنتال، ويمتاز الرجلان بحنكة حقيقية في الاطلاع على التراث العربي والإنساني وحسن تقدير دور العرب والمسلمين في التمدن، ولقد كانت مؤلفات كارل بروكلمان في التأريخ للأدب العربي وللشعوب الإسلامية قد تأخرت ترجمتها للقراء والدارسين العرب إلى سنتي ٥٩، ١٩٦٨ كما بينا في الاتجاه التاريخي بالدكتوراة، كما تأخرت ترجمة آدم متز إلى سنة ١٩٤٠ وكذا تأخر التعريف بدفاع روزنتال المجيد عن فضل المسلمين في ميدان البحث العلمي ومناهجه إلى ترجمة كتابه: "مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي" الذي ترجمه الدكتور أنيس فريحة وراجعه الدكتور وليد عرفات ونُشر بدار الثقافة سنة ١٩٦١م.

درس الدكتور "فرانتز روزنتال" "مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي في القرون التاسع والعاشر والخامس عشر والسادس عشر معتبرا بما يعترض به النقاد الغربيون على باحث مثله قد بلغ في إنصافه للعلماء المسلمين حدا عظيما، فقارن بين طبيعة التنظيم للأفكار والمعلومات عند المسلمين والغربيين فوجد أنه تنظيم المقل عند الآخرين، بينما هو عند المسلمين تنظيم المكثر لقيام مدن كبيرة منذ أقدم عصور التاريخ (عندهم).. حسنة التنظيم (مما) لم يترك مجالاً للمزيد من التحسين والتطوير "ص ١١".

وفي مجال النسخ اقتصر الأمر في الغرب على التنسيخ الجماعي والظاهر (عنده هو ما استقاه من ابن أبي أصيبعة) أن هذه الطريقة لم تنشأ في الغرب عن رغبة في الدقة والأمانة في النسخ بقدر ما كانت نتيجة لقلة

عدد الناسخين.. بأقل ما يمكن من الوقت وبأقل ما يمكن من أغلاط، وإن احتوت هذه الطريقة علـى جميـع عناصر الإنتاج الضخم المنظم الذي نما في الغرب فيما بعد، أما في الشرق فلم يصوبوا التقسيم إلا في حالات نادرة؛ لأنهم لم يشكوا من قلة عدد النساخ.

وعن نشأة النظام من "الفلسفة الكلامية" في البيئتين ذكر أن العرب لم يستسلموا الاستـسلام كلـه للفلـسفة الكلامية المحدودة النظام، فلم تمثل خطرا على تراثهم الفكري الخصب المتنوع، أما الغرب الـذي لـم يكـن يعرف شيئًا يذكر سواها... فقد أدى به فقره الفكري إلى وضع نظام صارم للبحث العلمـي، فـرغ لتـشريح أفكاره القليلة وإعادة تركيبها مرة بعد الأخرى "أسفرت عن خلق ألوان رفيعة من طـرق العـرض الأدبـي" (ص١٢).

أما في المشكلة التي كثر الجدل حولها... وهي طبيعة الحضارة الإسلامية، فقد أورد روزنتال آراء لهيجل وفون كريمر وجولدتسيهر ودوتي وميلر وغيرهم ليبين "إلى أي حد تتباين الآراء وتختلف الأحكام حول هـذه القضية" (ص١٣) بل "تتناقض" تناقضا ظاهرا.

وقد بدأ روزنتال ببيان أن الدين عند المسلمين كان ملاذًا لهم في الاضمحلال، ولم يكن سببا له بحال، (ص ١٧) كما أن الباحث المسلم لم يكن رجلاً نفعيا ماديا بل كان كثيرا ما يمعن في المغامرات الفكريـة لقيمهـا الذاتية، وقد استقرأ روزنتال مزالق العلماء الغربيين في نظرهم في هذه القضايا؛ فإذا هي ترجع إلى أسـباب [٢٤] منها أن تعصب هيجل لأفلاطون ضد أرسطو جعله يرى الحضارة الإسلامية بأنها معرض للتغييـرات، ظاهرة لا شكل لها، دفعت بها الوحدة الروحية إلى التعصب (١٨، ١٣، ١٤)، وإذا هي عند ج. لو. سـترانج G.Le. STRANGE وغيره تنشأ عن شعور التفوق الكاذب لديهم، حتى وصف روزنتال هذا العالِم بأنه قـزم بجوار ياقوت الذي اعتده سترانج ندرة في العقل والرصانة، ومن المزالق أن العلماء الغربيين لا يطبقون على المسلمين نفس المقاييس التي يطبقونها على الغربيين، فكانوا أكثر صرامة على المسلمين منهم على أنفـسهم (١٩) ومنها سخطهم في غير مسخَط حين يتعلق الأمر بالأسانيد والرواية عند المسلمين، وأهم من ذلك عنـده أن الغرب لا يراعي في حكمه على المسلمين التطور التقني، لذلك لا يرى إلا "الأمور العظيمة" التي حـدثت منه في الغرب، وعنده أن الحضارة الإنسانية مرت في ثلاثة أطوار: الطور السابق لظهور الكتابـة (عـصر قبل التاريخ) – الطور الذي ظهرت معه الكتابة (عصر المخطوطات) والطور الأخير (طور الطباعة)، فلـئن كانت الفترة الزمنية التي تقع بين العصرين الأخيرين أقل بكثير من سابقتها فإن الفضل في ذلك يرجـع إلـى التغيرات الجذرية التي طرأت على الأساليب العلمية التي أدت إلى ظهور الطباعة وإليه - بناء على ذلـك - اعتبر أن فضيلة حضارة من الحضارات لا تُرى إلا في ضوء الأخرى (١٣).

وفي بحثه في قسم الكلمة المدونة كأساس للمعرفة، أشار إلى إعجاب الغربيين بذاكرة العرب، وإلى مكـان السماع من العلم العربي، ولكنه أكد أن الحضارة الإسلامية تقوم على المكتوب رغم احترام الـذاكرة، شـأن الطب في ذلك شأن الشعر، وذكر شواهد لعناية المسلمين بالتدوين وتفضيله على السماع وحده، ورأى الباحث في المسودات والتعاليق عند المسلمين دليل إدراك وأمانة، وبين مكان المكتبة الخاصة عندهم، وشواهده فـي ذلك من الرازي والثعالبي وابن الأثير.

ثم نظر في مناهج العلماء المسلمين في التدوين من خلال عرضه لبعض مؤلفين للعاوي (عبد الباسط بـن ميمون المتوفى في دمشق ٩٨١ هـ ـ ١٠٧٣ م) وابن جماعة صاحب "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العـالم والمتعلم" المؤلف سنة ١٢٧٣م، وقد قال: والكتابان يعنيان بالتفاصيل العملية أكثر مما يعنيان بالقواعد العامة، وكثير من التفاصيل... تنطبق على... علمي الفقه والحديث... ولكن من الممكن بيان أهميتها البالغة في مجال البحث العلمي الإسلامي بأجمعه[٢٧]، ونوه بإشارات العلماء المسلمين في الوجادة وفي رموزها واختصاراتها، وقد رأى في ظاهرة البسط والاختصار والإضافة فيما نظر فيه من كتب المذكورين إلى جانـب مـا كتـب الخطيب البغدادي (ت ١٠٧١ م) الذي ذكره العلوي كما ذكر الواقدي والنووي وعياض وابن الصلاح، وعـد اختصار البغدادي لأعمالهم عملاً قد مر في مراحل تطور وتقدم ملحوظ، إلى أن اتخذ شكله النهائي في القرن السادس عشر، ثم قام يعرف مسائل علم التحقيق ومنهج الكتابة عند العلوي في كتابه "المعيد في أدب المفيـد والمستفيد".

وقد شمل كتاب روزنتال أيضا ما يلقي ضوءا على أصول العلماء المسلمين في حفظ المخطوطات والنظر فيها ونقدها نقدا بين أصوله عند العالم المسلم والعالم اليوناني ومناهجهما في النظر والبحث العلمي، وقد ربط روزنتال ذلك كله بمصدره في الحديث؛ بما أكد في نهاية كتابه القيم ما ذكره في أوله من تشابك الحـضارات وتفاعلها.

على أنه إن كان النفوذ الثقافي والسياسي الإنجليزي والفرنسي قد حالا بين العرب وبين الفكـر الألمـاني الممتاز – على نحو ما تمثلناه في أعمال بروكلمان وروزنتال وميتز، فإنه قد وجه المجهود الألماني لدراسـة اللغة العربية في إطار القضية السامية من جهة أخرى.

لقد نشط الاستشراق الألماني منذ القرن التاسع عشر - كما حدث الدكتور فيشر - لمعرفة معجـم اللغـة العربية، لصلاحيته كتفسير سام للمعجم العبري في العهد القديم، وكـذلك نـشط لدراسـة الـشعر الجـاهلي واللهجات السامية القديمة والعربية الحديثة لرسم صورة شاملة للعائلة السامية [٢٥]، هذا إلـى أن الاستـشراق معتمد في جملته على النقوش الحجرية السامية[٢٦]، إلى جانب الشعر الجاهلي واللهجات والمعجم القرآني.

أما تخصص الدكتور "فيشر" هذا ففي تاريخ اللغة العربية، وله عدة مؤلفات كتبت جميعها بالألمانية، وهي:

بحث عن ضمائر الإشارة (هكذا) في اللهجات العربية القديمة والحديثة، وكتاب الألوان والأشكال في لغـة الشعر الجاهلي، وكتاب النحو في اللغة العربية الفصحى، وهو كتاب تعليمي لطلاب العربية في ألمانيـا [٢٧]، لكنه من الناحية الأدبية الخالصة قد ذكر فيشر والقرنواني ثلاث مسائل هامة تالية أيضا وهي:

- أن الاستشراق الألماني يعتد الشعر الجاهلي خير شعر العرب، وهو في ذلك يعتقد أنه موافـق للأدبـاء العرب [٢٨].

- أن قيم القوة والحرية والفردية قيم مشتركة في الفكر الألماني والأدب العربي الجاهلي؛ ولهذا يتيـسر فهـم الأدب الجاهلي على الألمان.

- أن المسألة عكس ذلك بالنسبة للأدب العربي الحديث، ذلك أن القارئ الألماني (وهذا رأي هام يفيد فيما سنتحدث فيه من أثر الترجمة المرتدة من العربية إلى لغات العالم) – يجد صعوبة في فهم الرواية المـصرية

الحديثة، لغموض خصائصها المصرية، وبعد خصائصها المحلية عن البعد الحضاري العربي العام، ولكـون الرواية فن غربي في الوقت نفسه [٢٩].

وإذن فلم تخرج الأعمال المترجمة عن الألمانية في معظم الفترة التي ندرسها وما قبلها من إطار الروايـة والشعر الغنائي والمسرحية غالبا، ولم يستفد المصريون والعرب بفلسفة الاستنارة والقوة والتنظـيم المـدني الحديث في منابعها الألمانية، وقد حالت الثقافتان الفرنسية والإنجليزية دون حركة اتجاه أوربـا فـي ثقافتهـا شرقًا، وهي حركة ثقافية ألمانية في الغالب، كما استطاع الفكر الإنجليزي والفرنـسي أن يـدفع بـالمجهود الاستشراقي الألماني للعمل في صفه على الجبهة السامية في بلادنا وفي تراثنا.

(د) فرسان الفترة والمكان المحددين للبحث في ميدان الترجمة عن الفرنسية واردون بالضرورة، وأبرزهم طه حسين وأحمد حسن الزيات ومحمد حسين هيكل، بيد أن نظرة على ما سبقهم تخدِم هنا، فقد بدأت الترجمة عن الفرنسية مبكرة ونشيطة لارتباطها بحملة نابليون كما ذكرنا من قبل، كذلك شملت حقبـة واسـعة مـن عصور الأدب الفرنسي، أدت إلى القرن السابع عشر، كما بارى فيها المصريون السوريين، فقبل سنة ١٨٩٩ نقل نجيب الحداد رواية "السيد" لكورني، وكذلك نقلها نثرا محمد سعيد، ولقد نقل معاصره محمد عثمان جلال (ت ١٨٩٨) حكاية لافونتين، كما مصر مسرحية "ترتوف" لموليير، ويرى معظـم البـاحثين أن شـوقي (ت ١٩٣٢) تأثر بحكايات لافونتين فيما نظم على ألسنة الحيوان والطير في الجزء الرابع المنشور بعد وفاته من ديوانه، وإن كنا نعرف أن لكليلة ودمنة ولشعراء العربية الذين نطقوا بلسان خيلهم ودوابهم السبق في التـأثير في كليهما كما أشرنا **

وفي سنة ١٩٤٣ نشر الأب نقولا أبو هنا الملخص من ترجمته أوفى وأفضل ترجمـة شـعرية لحكايـات لافونتين، وكان جبران نحاس قد ترجم ونشر مختارات فيها نظما سنة ١٩٤١، أما عن مـوليير فقـد تـرجم مارون النقاش روايته البخيل، كما ترجم إلياس أبو شبكة عددا من مسرحياته.

وفي القرنين التاسع عشر والعشرين ترجمت أعمال لفيكتور هوجو ولافنتين وألفرد دي موسيه وبـودلير وإدمون روستان وجان لاهو وفاليري وفيرلين وشللي بردوم، وقد ساهم في الترجمة عنهم عدد كبيـر مـن الأدباء؛ مثل قصطاكي الحمصي وأمين الحداد ونقولا فياض وشبلي ملاط.

وممن لهم يد تذكر في هذه أيضا طه حسين وإبراهيم سليم النجار ومهدي البصير وخليل هنداوي وأحمـد أبو الخضر منسي وأمين زين وأحمد حسن الزيات ويوسف كرم وناجي طنطاوي وأحمـد فتحـي المرسـي ومعروف الأرناؤطي ومحمد مندور وسامي الدهان وصلاح الدين المنجد ومحمد توما.. وإبراهيم المـصري وعلي شمس الدين ومصطفى عبد الرحمن وعثمان علي العسال [٣٠].

واتصال أدبائنا ومفكرينا المصريين بالأدب الفرنسي وتأثرهم به يتضح من إقبال محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين ولطفي السيد على حضور محاضرات في جنيف صيف ١٨٩٧، فمن أسلوب العرض والمناقـشة والاستنتاج الذي جرى عليه المحاضر في رواية (روي بلاس) لفيكتور هوجو "خرج الشيخ شديد الإعجـاب بما رأى وسمع، وقال هكذا يكون التعليم! نحن في بلادنا لا نعلم، واعتزم أن يدخل هذه الطريقة في الأزهـر" وتمكن محمد عبده من الفرنسية وإن كان بدأ تعلمها في الرابعة والأربعين، فقد دل عليه بيانه لزملائـه فـي

جنيف معاني "تين" كما دلت عليه ترجمته كتاب التربيـة للفيلـسوف الإنجليـزي هربـرت سبنـسر عـن الفرنسية[٣١]. وكان قاسم أمين قد عكف على قراءة كتاب "تين" "الذكاء" لزملائه وهم في جنيف تلـك الـسنة، ومن بعد داخلت فكرة الذكاء نظرية جمالية وضعها الزيات في كتابه وحي الرسالة في جزئه الأول، وربمـا كان أمين الخولي قد عني الزيات حين ذكر في فن القول أن أدباء حاولوا طرق أبواب الحـديث فـي الفـن والجمال دون الإشارة إلى مصادرهم التي استقوا منها. والاحتمال وارد صدد الرافعي هنا أيضا؛ وإن كان ما وضعه الزيات من تنظير للجمال قد جاء في الغالب مستوحى من قيم البلاغة العربية في مدرسـتها البيانيـة المعتد بها، ومن ذوقه الأدبي الخاص؛ ولكننا نضيف أن فكرة "الذكاء" قد داخلت هـذه النظريـة (الزياتيـة)، ومثلت إحدى قيم ثلاث جعلها خصائص لا ينفك عنها الجميل؛ وهي القوة والوفرة والذكاء.

لكنه قد غلب على الزيات حقا الانتشاء بترجمة النماذج الرومانسية، وذلك فيما سبق لنا أن أبنا عنـه مـن موافقة ذلك لذوقه الخاص ولمزاج سرى في عصره، ومن هذا القبيل ما نجده في كتابه "من الأدب الفرنـسي قصائد وأقاصيص" وترجمته "لآلام فرتر" عن الفرنسية ١٩٢٠ ولرافائيل ١٩٢٦م وفي "ضوء القمر وقصص أخرى" – وهذه كلها نماذج للنوع الرومانسي الذي أُغرم به بعض أدبائنا إلى حد خطير.

لكن الترجمة التي تمثل الاستجابة للحاجة الذاتية والاجتماعية الدائمة قد وجدت عند طه حـسين خطتهـا الفنية والاجتماعية الدائمة التي لا تخلو من هدف عام، فقد كانت ترجمته عن الفرنسية ممثلة لمختلف فـروع الأدب، كما اتسمت بالاستمرار والدأب [٣٢] منذ العشرينيات.

وأما ما هدف إليه طه حسين هو أن يعلم وينشر أفكاره هو، وما يعجبه مما يوافقها من أفكار غيره، ومنها التعريف بفن التمثيل والإصلاح الاجتماعي وإثارة القضايا العقلية والإنسانية [٣٣] واستخلاص السمات المميزة لأدباء بأعيانهم[٣٤]

وعن الفرنسية في النقد، خاصة ما ظهرت بوادره فيما انصرف إليه محمد حسين هيكل بعد سـنة ١٩١٧ من ترجمة البحث الذي لخص فيه الفيلسوف الفرنسي "هيبوليت تين" كتاب عالم ألماني عن البوذية، واستغرق نحو مائة صفحة من كتب تين في النقد والتاريخ؛ وفيما كتبه هيكل من الجزء الأول من كتابه "جـان جـاك روسو: حياته وكتبه" سنة ١٩٢١م[٣٥]، والمعروف أن هيكل أصدر الجزء الثاني من جان جاك روسو سـنة ١٩٢٣ م. *

وقد عرف الدكتور محمد حسين هيكل "بهيبوليت تين" ودوره في النقد والأدب بكتابه: تراجم مـصرية وغربية سنة ١٩٢٩ إلى جانب من ترجم له، مثل: مصطفى كامل وعبد الخـالق ثـروت وبطـرس غـالي وبيتهوفن وشكسبير وشيلي، بيد أن التعريف بتين خاصة أوصل رحما بمبحثنا هذا، لما يمثله تين مـن روح الطموح العلمي في النقد الذي ترك أثره في من خلفه وأورثهم بعض أخطائه ومزاياه، وكذلك عرف به طـه حسين وبعلّمي النقد الآخرين "بيف وبرنتير" في مقدمة في الأدب الجاهلي ١٩٢٧.

وسأكتفي بإشارة إلى الأخيرين، وأترجم تعريفًا مفصلاً لتين في قليل تصرف:

"فهيبوليت أدولف تين ١٨٢٨ – ١٨٩٣ Hipplyte Adolfe Taine هو ثاني ممثل للطريقة العلمية التـي ظهرت في القرن التاسع عشر... كرد فعل للفلسفة الروحية، وقد نزعت محاولته لاستخدام النظرية العلميـة في دراسة الأدب والفن وعلم النفس والتاريخ الثقافي وفي "إمارة" ما وراء الطبيعة والجماليات. وطموحه هذا الذي أراد به تأسيس ملة جديدة على أسس علمية هو الذي زود الحركة الطبيعية في الأدب بأساسها النظري، أما صميم محاولته فتتمثل في عملية جمع التجارب مساهمة منه في (محاولة) فهم الطبيعـة الإنـسانية فهمـا علميا [٣٦]، واجدا عضدا قويا من نضج المذهبية الواقعية في أجيال عصره، كمـا فـي روايـات "سـاتندال" و"فلوبير" و"زولا". *

وكان تين قد تلقى تعليمه الأول في منزله حتى بعد وفاة أبيه، ثم رحل مع أمه إلى باريس وتعلـم فـي بعض معاهدها... حيث استبدل أفكاره السنية وإيمانه المسيحي وهو في الخامسة عشرة بموقف عقلاني دفعه إلى الإعجاب بالفلاسفة الذين يقولون بضرورة قيام المعرفة على التجربة، وكـذلك اجتذبتـه أفكـار هيجـل وسبنوار الميتافيزيقية وألهمته الرغبة في العثور على التفسير الشامل للقوى السببية الكامنة في الحياة والكون.

ولما كان معلموه الجدد في باريس يعتنقون التعاليم الفلسفية السابقة عن الانتخاب الطبيعي، فقد أدى بـه ذلك إلى بعض الفضائح في الدوائر العلمية، ومنها رسوبه أمام اللجنة التي اجتمعت لامتحانـه سـنة ١٨٥١ فتغيب عن الدراسة ١٨٥٢ ليعود فيما بعد إلى باريس، ليعد بحثه للدكتوراة في شخصية أفلاطون، وقد حصل على درجته العلمية سنة ١٨٥٣، ثم ليعد أول دراسة له بعنوان "دراسة عن لافونتين" وأمثاله، ويواصل كتابة المقالات التي نال بسبب بعضها جائزة الأكاديمية الفرنسية. أثناء ذلك كان يحضر محاضرات فـي العلـوم، ويجمع معلوماته في علم النفس، مؤثرا أن يتعيش على التدريس الخاص وكتابة الأبحـاث، وبعـض كتـب الرحلات، كما أسهم بغزارة في كتابة المقالات الأدبية والتاريخية للمجلات الرائدة، وبذلك تكونت مواد كتـب ثلاثة له زادت من شهرته، وهي: فلاسفة القرن التاسع الفرنسيون ١٨٥٧، الذي هاجم فيه الفلسفة "الانتخابيـة الشائعة" – لفكتور كوازن وجماعته، كما ضم آخر عرضه الواضح لنظريته الإيجابيـة فـي المعرفـة، ثـم مجموعته الأولى بعنوان "مقالات في النقد والتاريخ" سنة ١٨٥٨، فضلاً عن تاريخه المشهور "تـاريخ الأدب الإنجليزي" سنة ١٨٦٣ – ٦٤.

وقد تضمنت مقدمته بيانًا وافيا عن مدخله إلى التاريخ الأدبي والثقافي، ونصا معقدا لموقفـه مـن النقـد الأدبي: "نفس العوامل التي رآها قِوام الحقائق الثقافية لأي عصر أو لأي مجتمع، حيث يمكن عـن طريـق دراسة الوثائق الأدبية فهم المؤلف وتحديد حقائق حياته وشخصيته التي تشع في موهبته وتظهر فـي طـابع شخصيته العام الذي يقرر قيمة عمله، أو بمعنى آخر تبين أثر الجنس والمجتمع والعصر في تكوينه؛ أي تبين الشخصية الموروثة للمؤلف وخلفيته الاجتماعية والسياسية والجغرافية والظروف التاريخية التي تحيط به".

وواضح أن اهتمام تين هنا بالأدب نفسه أقل من اهتمامه بالأسباب التاريخية والنظرية والنفسية، وربما أدت نظريته بالمعجبين إلى الإفراط فيهما على حساب الحكم النقدي، على الرغم من أن قدرات تـين نفـسه كناقد كان لها اعتبارها، "وقد اتضح ذلك لنا أيضا في نقدنا لمحاولة الدكتور طه حسين لنقد أدب العلاء نقـدا تاريخيا".

وقد عينه نابليون الثالث سنة ١٨٦٤ أستاذًا للجماليات في تاريخ الفن فـي مدرسـة الفنـون الجميلـة بباريس؛ حيث حاضر عشرين سنة، وقد استمر تين يكتب بغزارة في النقد الأدبي والرحلات، كمـا انتخـب عضوا في الأكاديمية الفرنسية ١٨٧٨، وكان الغزو الألماني لفرنسا سنة ١٨٧٠ – ٧١ سببا في تحوله إلـى السياسة والكتابة في تاريخ فرنسا، بيد أنه عاود الكتابة الأدبية، وتفرغ لها؛ إذ استقال من وظائفه بعـد سـنة ١٨٨٣ حتى وفاته.

بيد أنه مما يجدر بنا ذكره فـي هـذا المقـام خاصـة أن تـين وضـع قـصته التـي لـم تكتمـل ETIENMAYRAN (إتين ميران) سنة ١٨٦١، وقد ظهرت مطبوعة بعد وفاته سنة ١٩١٠، ثم (وهـذا هـو الأهم) كتابه "عن الذكاء" الذي طبع سنة ١٨٧٠ في مجلدين ظهرا في الإنجليزية سنة ١٨٧١.

ووصفُ دائرة المعارف البريطانية له: أنه عمل عظيم في نظام علم النفس الذي أولع به (تـين) منـذ شبابه، وفيه يظهر بدرجة أكبر إخلاصه التام للعلم، فيه يعارض "الطريقة" التأملية Speculative الاسـتبطانية INTROSPECTVE، التوفيقية [٣٧] ECLECTIVE ويضع تخطيطًا لنظرية علمية فـي دراسـة الشخـصية الإنسانية على نحو ما يحاول مفكرون من أمثال "ثيودول ريبوت" و"بييرجانيت" مؤسس علم النفس التجريبـي IMPIRICAL PSYCHOLOGY وعلى الرغم أن كثيرا من هذا العمل مما قد تجاوزه البحث العلمي، إلا أنه قد ساعد على تبسيط نظريات للبحث بتركيزه على التجربة والبحث في الأسباب ودراسة الحالات الباثولوجية والدعائم النفسية الشخصية.

ولقد شدد من المعارضة لأفكار تين حتى إن معارضيه الغاضبين اتهموه بأنه يـصر علـى التمـسك بنظرية مادية للإنسان – ولو لم تخل من صحة – رغم أنه ادعى أنه رفض المادية، وجادل بـأن المـسئولية الروحية معادلة للإصرارية "كما اقتنع بها".

هذا والعمل يطور محاولته الدائبة لقبس الإيجابية والمثالية الهيجلية وتزويدها بنظرية فـي الميتافيزيقـا العلمية، ورغم أن ما أراده من هذه الميتافيزيقا التي تعهدها كان التوصل إلى الأسباب النهائية للحياة ذاتها، إلا أن رؤاها الداخلية ألهمته إيمانه بالطبيعة (ثقته في وحدة الوجود) Panthestic Trust in Nature [٣٨].

كما عبر عنه في مقالات عن "ماركوس أورليوس" في "مقالات جديدة" و"أفجينيا" في "مقالات قديمة".

وعن الفرنسية في النقد كذلك ترجم أحمد حسن الزيات ويوسف كرم سـنة ١٩٢٩: محاضـرات فـي الفلسفة، "لأندريه لا لاند".

القسم الأول من الكتاب بعنوان "دروس في التراجع" يعالج الرأي في "نظريـة التطـور" مـن حيـث ظهورها ودلالتها في الفنون خلافًا للمعروف عنها في الطبيعة والأحياء.

وقد أزال لا لاند شبهة قصور القول في الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح على عـالم واحـد (دارون مثلاً)، فقد ظهر تقريبا في وقت واحد في مواطن كثيرة، بعد أن بدأ عند سبنسر بمعنى التباين والتكامـل؛ أي الانتقال من المتجانس إلى المتنوع.. مضادا لمعنى الانحلال أو الانحطاط والموت، وقد مرت بنا منـذ قليـل معارضة مماثلة بين تين وفيكتور كوزان من أصحاب الفلسفة الانتخابية المادية.

وقد تجنب لا لاند مصطلح "الانحلال" إلى مصطلح "التراجع"، ليدل به على "الصيغة الجوهرية" التي تظهر خلال الظواهر التي يشتد اختلافها، غير أنها تسفر عن "صفة عامة" وهي إظهار التقدم لا في نمو الفروق، ولا في تحقيق نظام قوى التضامن، بل بالعكس في التشابه المطرد بين العناصر التي تؤلف كلاً كأفراد الناس في الجماعة، وفيما يبلغون من رقي حريتهم باعتباره الأمر في الحياة وطُرفِ الفن مختلفًا[٣٩]. مما يعبر عنه في النقد الحديث بالخاصة الإنسانية العامة أو الذاتية التي تحقق للفن صفته العالمية.

ومن النقد الفرنسي كذلك ترجم الدكتور "محمد مندور" منْهجي ج. لانسون وأنطوان ماييه في الأدب واللغة، ونشرهما معا لأول مرة سنة ١٩٤٦ بدار العلم للملايين، ثم أعاد طبعهما لاحقًا بكتابه "النقد المنهجي عند العرب" سنة ١٩٧٢ م وقد طبعهما بالطريقة الأخيرة لاعتقاده بضرورة الاستفادة من تجارب الغير المتقدمة، وهي لا تكون صحيحة وواعية إلا بعد دراسة تراثنا دون أن نقحم على القدماء ما لم يخطر ببالهم، ودون جهل أو تجاهل الفروق الأساسية بين الأدب العربي وغيره، وما يشبه ذلك من تفاوت في مناهج البحث [٤٠]. ولو أن الدكتور مندور عاد فأقر التخلي عن استخدام جميع المناهج مؤثرا أن يزن في [٤١] النقد بميزان الأديب المنقود نفسه، وذلك في كتاب مندور "في الميزان الجديد" سنة ٧٣، أخذًا عن سانت بوف أو مقتربا من الرافعي على ما سنبين عنه في الاتجاه البياني.

والدكتور مندور إذن يريد للدارس أن يبدأ بما بدأ به النقد الفني عند العرب.

ومما سبق إليه ابن سلام من ذلك في بحث مندور اتخاذ فكرتي الزمان والمكان إطارين كبيرين أدخل فيهما ابن سلام تقسيمه للشعراء على أساس من النقد الأدبي (فكرة الطبقات): عشر لمشاهير شعراء الجاهلية، ثم عشر لمشاهير شعراء الإسلام، وبينهما ثلاث طبقات. وضع ابن سلام شعراء الرثاء في واحدة، وخصص الثانية لشعراء القرى (المدينة ومكة والطائف والبحرين) ووقف الثالثة على شعراء اليهود، وقد أوسع فيها ابن سلام لمائة وأربعة عشر شاعرا [٤٢].

وهو منهج رأى مندور الاستفادة به أيضا دون تسليم إلى جانب من جوانب أخرى صالحة عن النقاد العرب، فضلاً عن منهجي لانسون في الأدب وأنطوان ماييه في علم اللسان كما مر.

وقد استمد مندور أيضا من منهج ابن سلام منحاه العلمي وبالأخص معالجته النقدية للفنون الأدبية؛ كمنحاه في نقد أصحاب المراثي وتحديد الشروط التي يجب أن تتوافر للناقد مثل: الدربة والدراية، وتحقيق النصوص، وتفسير الظواهر الأدبية وتحديد أسس المفاضلة، ودعا أيضا إلى الاعتبار بما يمكن أن يكمل ذلك مما أسهم به ابن قتيبة، مثل التحرر من الميل إلى المتابعة لظاهر المناهج السابقة، والاعتبار بالجودة دون اعتبار القِدم والجِدة (أو الطبقة..).

ثم ما لا بد منه مما لفت ابن قتيبة النظر إليه أيضا من ضرورة ارتباط الموضوعات التي يكتبها الشعراء بحياتهم، لما يؤدي إليه التقليد لظاهر الفنون من سخف، هذا رغم أن "تاريخ ابن قتيبة" – والرأي لمندور – محض قصص ونوادر وأخبار، وليس فيه محاولة منهجية لتقييم الشعراء في مذاهب أو مدارس أو تيارات، مما ذكر مندور أنها لم تخطر لابن قتيبة على بال.

كذلك يدعو مندور إلى الأخذ بما يعني فيه عبد القاهر من اتباع الطريقة التحليلية الذوقية اللغوية في تدارس النصوص قبل الحكم عليها، وتبين الملاحظ الجمالية وعوامل التأثير في الأدب والحياة وفْق نظرية النظم أو ما يسمى فن البيان الذي كثر الاحتفال به في بحثنا الجامعي الحديث على أثر محمد عبده وسيد المرصفي [٤٣].

وكذا قدر من المنطق اللغوي والاصطلاحي البلاغي مما وجد عند قدامة أو غيره ممن تأثروا بالمنطق الأرسطي والفلسفة، باعتبار ذلك أدوات للنقد وليست هي النقد.

وغير ذلك من الإشارات عظيمة القيمة مما تفرق عند نقاد العرب.

فإذا ما توافرت لنا الدراسات المتعمقة لسائر مواد التراث الأدبي بواسطة باحثين متخصصين تسنى لنا وضع تاريخ للنقد الأدبي العربي كذلك، مما يجدي فيه النظر في تجارب الأمم الأخرى.

أما خطوط هذه التاريخ النقدي العربي التي تسير في موازاة الخطط المترجمة عنده فهي:

من حيث المدارس الأدبية، فثمة مدرسة زهير والحطيئة، ومدرسة مسلم وأبي تمام، ومدرسة عمر بن أبي ربيعة والعرجي، ومدرسة جميل وكثير، ومدرسة البديع في العصر العباسي، وجماعة من بقي من عمود الشعر.

ومن حيث الفنون الشعرية، فثمة الغزل والرثاء، والمديح وما إليها.

ومن حيث التيارات السائدة، فثمة تيار العبث الخلقي عند بشار وأبي نواس، وتيار الزهد والتقشف عند أبي العتاهية، ومن نحا نحوه.

أما من حيث الاتجاه الفني، فلدينا ابن الرومي ومدرسته، وشعر الفكرة لأبي الولاء، وهكذا.

وهذا النقد المنهجي الذي وجد متفرقًا عند العرب، وأفسده على متأخريهم سوء الأخذ عن أرسطو وغيره، يمكن أن (بل لا بد أن) تتحقق الدراية الجيدة به قبل (أو إلى جانب) دراستنا للمناهج الغربية، لكي تتعمق خبرتنا بالنقد كعلم، ولكي نهتدي إلى استخدام ما يصلح منه لكل فن أو اتجاه على حدة.

أما خطة مندور في الانتفاع بالترجمة، فمنها ترجماته لمنْهجي ج. لانسون وأنطوان ماييه في الأدب واللغة:

وبحث لانسون (١٨٥٧ – ١٩٣٤) محاولة منه لمقاومة الأهواء التي سادت النظر في الأدب الفرنسي وفي وقته، ونزعة الكسل التي عاقت الأدباء الفرنسيين عن الإجادة ودفعت بالبعض إلى الخوف من النقد.

وهو يتجنب مبالغات تين العلمية والنفسية، ويستفيد من روحه كما يلم ببعض مبادئ التحقيق الأدبي كالمأثورة عن قدمائنا [٤٤].

فلقد أعلن أن منهجه التاريخي لا يكِن بغضا لغيره من المناهج أو المذاهب، بل يستفيد منها، ثم بين لانسون العلاقة بين التاريخ العام وتاريخ الأدب، ونبه إلى بعض صعوبات المنهج، وبين الحاجة إلى العلم بعد أن قدم تحذيره من المعادلات العلمية والتراكيب الكيميائية.

وكذلك دعا إلى أن يكون لنا ذوقان: شخصي يتخير المتع والكتب واللوحات التي نحيط بهـا أنفـسنا، وتاريخي نستخدمه في درايتنا، وهو ما سماه (فن تمييز الأساليب) أو تذوق كل مؤلف في أسلوبه بنسبة ما في ذلك الأسلوب من كمال [٤٥].

ثم بين لانسون أهمية الطبيعة والبيئة باعتبارهما مجالين يحيطان بعيون المؤلفات، بـل يمهـدان لهـا السبيل، ويعملان على تخطيط اتجاهاتها والتعليق على متونها، ويبينا مراحل الانتقال بينها وتوضيح مصادرها ومدى تأثيرها، حيث إن العبقرية بنتُ زمانها وناشئة عنه، إلا أن تأثيرها يبقى ويعدو زمانها.

وكذلك فإن الكتاب الممتاز عادة يأتي بعد كتب أخرى لا بد أن ندخلها في حسابنا، حيث إن المؤلفـات الميتة نفسها ضرورية في تحقيق أصالة الكاتب الكبير وتجويدها.

وقد بين وجه الصعوبة في البحث في المبادلات، وكيف يؤثر الأدب في إحداث (ثورة) فوهم كبيـر أن تعرض – دفعة واحدة – لتأثير مجموعة من المؤلفات على مجموعة من الوقائع، فَتَبين أوجه حقيقـة تـأثير الأدب في الثورة (الفرنسية) لا يمكن أن يدرك إلا عندما نكون قد رصدنا في صبر المبادلات العديـدة التـي حدثت بلا انقطاع بين الأدب والحياة لمدة (عاد بها لانسون إلى سنة ١٦٨١ وامتدت إلى سنة ١٧٨٩) ليتمكن من النظر في عدد لا حصر له من التأثيرات الجزئية في عدد لا حصر له من النفوس الفردية خلال أكثر من قرن، وحتى تسرب هذا الفن الكامل ورسب في طبقات مختلفة بنسب متباينة في الـوعي الجمـاعي للأمـة الفرنسية، وظهر في طريقة استجابتها للوقائع.

وقد استقرأ لانسون الأخطار التي يؤتَى من قِبلها منهج الباحث، وهي الكسل أو النظـرة المنطقيـة، أو العلاقات غير الصحيحة، أو الإسراع في تقدير الوقائع، أو الخطأ في استخدام المناهج الخاصة (يستخدم هـذا فيما لا يصلح له إلا ذاك).

ثم المبالغة في قيمة العمل أو ما يصل إليه الباحث من نتائج.

ثم ختم لانسون ببيان طريقة تقسيم العمل وأخطاره والعناية بالعبقريات والفلتات، وقِنِع للمنهج بأن يثبت ويحقق، واعتبر المنهج التاريخي أداة سلام [٤٦].

على أن مظهرا للقاء الصحيح في عقل الأستاذ الدكتور "محمد مندور" بين النقد العربي والنقد الغربـي قد تجاوز مجرد الترجمة والتخطيط للتاريخ النقدي إلى محاولة تنزع عن خبرته بالنقد المنهجي عند العـرب، ويشتم منها رغبةٌ في الاستئناس بتطبيق المعايير النقدية العربية على بعض الأدب الغربي، ويمكن أن نعد هذه محاولة رد دين للعطاء النقدي الغربي السياقي الأسلوبي.

هذه هي معايير النقد الذوقي اللغوي في نظرية النظم، وقد أُحيت حديثًا في بعض التراث العربي تحت اسم علم التراكيب، وطبقت هنا وهناك على نحو موضوعي نرى أنه خدم النقد العربي والمنقود الغربي فـي آن، ووضع علامة رئيسية على طريق الآداب العالمية.

ففي الوقت الذي كان فيه النقاد والدارسون يتناقشون في جميع الآداب القديمة والحديثة حول لغة الشعر وبعض الخصائص التي يميزها عن لغة النثر، تناول الدكتور مندور قضيتين من قضايا هذا النقاش؛ أولاهما قضية الصفات الشعورية على ضوء آخر ما وصلت إليه دراسات النقـاد ومـؤرخي الأدب فـي الـصفات

الهوميرية.. في الإلياذة والأوديسة. وثانيهما: قضية "التعبير الرمزي" في الشعر والحكم عليه من وجهة نظر الأصول المفردة في علم البيان.

لقد رأى الباحث أن بعض علماء الإغريقيات يسمون الصفات التي يصف بها هوميروس أبطاله "صفات ماهية epithet des de nature أي أنها صفات دائمة ملازمة قصدا أو إسرافًا، كما رأى الباحث أنه قد ساد - فترة طويلة من الزمان - اعتقاد بأن هوميروس كان يستخدم هذه الصفات لضرورة الوزن، ويستدلون على ذلك بأنه كان يغير الصفات من موقف إلى موقف.

رأي الدكتور مندور أن الأبحاث الحديثة قد قضت على هذه الآراء، فالصفات الهوميرية كانت تلعب دورا بلاغيا ينم عن صفات فنية محكمة، على نحو ما نحس مثلاً في الخطبة التي ألقاها أخيل في جند الإغريق بعد أن احتدم النزاع بينه وبين ملك الملوك القائد العام أجاممنون، وقد أخذ أخيل يحس بالخطر الداهم الذي يهدد الإغريق كلهم من جراء هذا النزاع، فأراد أن يصفيه، ونهض يخطب في الجند، وفي خلال هذه الخطبة لا نراه يذكر اسم أجاممنون إلا ويردفه بإحدى الصفات.. فيقول "أجاممنون" "سيد المحاربين" وكل ذلك لكي يوحي بالروح التي يصدر عنها وهي روح المسألة "ورأب الصدع"، ومثل ذلك في شواهد الدكتور مندور العديدة وصف هوميروس لأبوللو على لسان أحد أبطال الإغريق بأنه أبوللو القوي وذو القوس الفضي.. وعندما يدعو إلهة الغضب إيزيس بأن تسرع إلى الانطلاق، لا يقول لها انطلقي بسرعة، بل يقول انطلقي إيزيس السريعة تلطفًا في القول ومراعاة لمقتضى الحال.. وهذا من تقنيات علم المعاني العتيدة في العربية كما هو معروف للبصيرين.

ومن هذا القبيل وصفه منيلاس زوج هيلانة التي قامت الحرب بين طروادة وبلاد الإغريق بسبب اختطاف الأمير الطروادي باريس لها - بأنه منيلاس حبيب آريس إله الحرب، يقصد أن منيلاس هذا كان سبب تلك الحرب، ولولاه ما قامت وهكذا.

ولما كانت الرمزية في الأدب الحديث لها عدة اتجاهات[٤٧] فإن ألصقها بفن البيان أن يكون التشبيه؛ أي النقل، في حالة الرمزية من مجال من مجالات الحواس إلى مجال آخر لا مع شَكْلي المجالين (فحسب) بل قد يكون إنما يخدم المجاز على طريقة رمزية جديدة، فالسكون يوصف بالحزن والوحدة، ولكن طاغور أراد أن يصفه بالبهجة وفقًا لمقتضى الحال في إحدى قصائده. وقد ذكرنا نحن أيضا هذه القيمة في الرمزية في عرض مقارن سريع في نهاية رسالتنا الأولى.

وكالأمر في البلاغة لا يسوغ النقل أو الاستعارة إلا مع وجود وحدة الجامع أو القرينة، وعلى هذا الأساس يقول الدكتور مندور إنه يمكننا الحكم على كل التعبيرات الرمزية التي شاعت في شعرنا المعاصر منذ جماعة أبوللو حتى اليوم.. متى لم تتزاحم الرموز في القصيدة أو تتنافر [٤٨] أي أن الدكتور مندور يريد أن نعتبر بالذوقية البصيرة الأخرى في مباحث علم البيان العربي أيضا.

ويعتبر محمد السباعي (١٩٣١ م) ممثلاً قويما للترجمة عن الإنجليزية، وفيه يتمثل الاقتراب الـصحيح بالغرب، بل إن قدره يتضح أيضا مما عرف عنه من مناضلته في سبيل تثقيـف نفـسه بـاللغتين العربيـة والإنجليزية، والثانية على الأقل قد كانت حادثة على التعليم في أيامه، وكانت الحظوة والأولوية في الترقـي والابتعاث لدارسي الفرنسية.

وهو أول من عني بأن يترجم من الإنجليزية طائفة من أسمى ما في أدبها (تخرج في المعلمين العليـا مع المازني وشكري وغيرهما من أعلام نهضتنا الحديثة... وقد كان من أقدر المترجمين، وأسرعهم وأشدهم جلادا ومثابرة. ترجم مئات القصص والعديد من الروايات، ونَقْله الرائد لرائعة تشارلز ديكنز "قصة مـدينتين" منذ عام ١٩١٢ كان ريادة حقيقة لهذا التيار الموضوعي). وكذلك فإن من مترجماته: الأبطال وعبادة البطولة لتوماس كارليل، الذي طبعته المطبعة المصرية بالأزهر سنة ١٩٣٠، وإذا نظرنا إلى ما تُرجم ألفيناه من خير ما في أدب الغرب، كما يقول الدكتور عبد العزيز الدسوقي.

على أن قدرة محمد السباعي الحقيقية تتجلى في الدقة والأصالة، فهو من أكثر المترجمين محافظة على الأصل؛ كما يقول المازني، ومن أقدرهم أيضا على المحافظة على جزالة اللغة العربية وجمالهـا... ففـضل السباعي يتجلى في السبق، وفي حسن الاختيار وحسن الأداء، حتى لكأن ما تُرجم كان قد كتب بالعربية فـي الأصل. هذا إلى جانب الغزارة التي أغرى غيره بها في إنتاجه (٤٩) ودلت كما دلت الإجادة والإصرار فيهـا على روح العزم والولاء الوطني التي نبه الاحتكاك بالغرب الطهطاوي إليها في الدين والأدب (٥٠).

وقد حظي شكسبير بعناية خاصة، وإن كان الاهتمام بمسرحه قد تأخر بعض الشيء، وقد تُرجم بعـض أشعاره نثرا كل من نجيب الحداد، وخليل مطران، وسامي جريديني، ومحمد عوض محمد.. كما ترجم محمد عفت رواية ماكبث شعرا، وترجم أحمد باكثير "الليلة الثانية عشرة" شعرا كذلك، كذلك تُرجمت عن شكـسبير عدة مقطوعات بواسطة عيسى إسكندر المعلوف في "تأبين ماركوس أنطونيوس لقيصر" وعباس محمود العقاد في "فينوس وأدونيس" وترجم فؤاد الخطيب "الدسيسة" كما نظم حافظ إبراهيم "خنجر ماكبث".

أما لغير شكسبير فقد ظهرت ترجمات عديدة أخرى، وفيها: في سنة ١٩٢٥ ما عربه أنيس المقدسـي وهو الذكرى "In memoriam" لتنسون نظما، وهي كما قال مجموعة بشائر تقع في نحو ١٨٥ صفحة، وقـد تابع فيها ترتيب الأدوار في الأصل الإنجليزي، واختار لجميعها البحر الخفيف، وهو أقـرب الأبحـر إلـى الأصل.

وفي سنة ١٩٤٤ نشر عبد الرحمن بدوي ترجمة Harold لبيرون في أناشيد نثرية يتخللها شيء مـن الشعر، كما عني بترجمة عدد آخر من روائع الأدب الإنجليزي، أما لويس عوض فقد نقل نثرا Prometheus unbound وإيدونيس لشيللي(٥١) كما نقل غيرهم أعمالاً لعدد كبير من الأعلام الإنجليز (٥٢).

وقد حظيت الاتجاهات الوجدانية بعناية خاصة لدى أدبائنا المحدثين، فقد دافعوا عن مذهبهم بما التمسوه في الأدب الغربي والعربي من شعر يوافق مُثُلهم الفنية، وتمثل مختارات العقـاد الـشعرية المترجمـة فـي "عرائس وشياطين" هذا الضرب الناضج من فن الترجمة، واستفادة تلاميذ العقاد من هذه المجموعـة يتجلـى

فيما ذهب إليه سيد قطب من نظريته "الفطرية في النقد" على نحو ما عرضناه منهـا فـي الاتجـاه النفـسي بالدكتوراة.

أما الاتجاه الفلسفي فقد وجد في الدكتور زكي نجيب محمود - الحاصل على درجته للـدكتوراة مـن جامعة لندن - فارسه المجد، فمن بين ثلاثين مؤلفًا ومترجما بعضها في عدة أجزاء لم يخل إنتاجه منذ سـنة ١٩٣٥ إلى مشارف الخمسينيات من اهتمام بالفلسفة والحضارة، وهو بعد من أشد المخلصين لوجهة النظـر الغربية في تناولها لمسائلها بصفة عامة، ومنها المسائل الاجتماعية العلمية والسياسية والتاريخية [٥٣].

أما محصلة نظره لتطور التاريخ فأخذه بالتقسيم الغربي باعتبار أن الأثر السائد هـو محـور اهتمـام الفلسفة، وهكذا قسم التاريخ إلى:

- عصر الأخلاق؛ حيث سادت المشكلة الأخلاقية عند اليونان.
- عصر الدين؛ حيث سادت المشكلة الدينية في العصور الوسطى.
- ثم عصر العلم؛ حيث سادت المشكلة العلمية في هذا العصر. *

بيد أن فكرة التطور لديه مشوبة بنظرية الطفرة، ومن ذلك قوله: إن ثمة "فجوة تفصل المائة سنة الأخيـرة مما سبقها".

وبطبيعة الحال فإن هذا الرأي لا يصدر عن ملاحظة العوامل التي لا بد أن تكون سببية في هذا التطـور الذي نهضت عليه المدنية الغربية، أي أنه بدلاً من أن يبني على المقدمات بنى على النتائج، وهي في رأيـه: زيادة الحصيلة العلمية والاعتماد على العلم في جميع المناشط الفردية والاجتماعية.. [٥٤] ولا نستبعد أن يكون لمثل هذا المنطق المقلوب أثره الذي منيت به بعض آراء مفكرينا ممن ألمحنا إليهم، وفي التعبير تجوز علـى الأقل من الدكتور زكي نجيب محمود وقول روزنتال بتكامل الحضارات أصوب. *

فمنطقه هذا ليس بالمنطق الأرسطي الثوري بطبيعته الذي ينزع إلى البحث في السبب والـسببية، وهـذه السمة أو العناصر التي تحدد الكائنات (باعتبارها) لا تخرج عن المادة التي تتكون منها الكائنات، وعن الشكل الذي تتخذه، وعن المحرك الذي يحركها، وعن الغاية أو السبب النهائي الذي يحرك العالم نحو الخير، وهـو قوة ا المتفردة بالكمال[٥٥] ولا هو من منهج تين الذي يدابر أرسطو ليحاول أن يصل من طريـق دراسـة المادة وتحليلها العلمي إلى عنصر الحياة الأول، ولا هو منهج لا لاند الذي يرى الأمر فـي الآداب والفنـون يميل إلى التراجع نحو الوحدة، خلافًا له في العلوم - كما مر بنا - وهو بعد بعيد كل البعـد عـن النظـرة الخلدونية في العمران، وعن النظرية الداروينية في الأحياء. ويبدو أن الفلسفة بسبب ذلـك وبـسبب تـأخر مجهودات أخرى للنشار وعثمان أمين وغيرهما: لم تكن الفلسفة فاعلة بالدرجة الواجبة في فترتنا. *

وعن الإنجليزية في النقد خاصة، ترجم الدكتور محمد مصطفى بدوي مبادئ النقـد الأدبـي لـ إ. آ. ريتشاردز (جـ ١٩٢٨/١ وجـ ١٩٦٣/٢) والعلم والشعر لريتشاردز أيضا، كذلك ترجم "الحيـاة والـشاعر" "لستيفن سبندر"، وهو في علاقة الأدب بالسياسة. والشعر والتأمل لـ "روز بريفـور هـاملتون". وكتـاب د. بدوي عن كولاردج عبارة عن دراسة ونصوص مختارة استمدها من صحيفة الصديق التي كـان كـولاردج

يصدرها بالاشتراك مع "وردزورث" ومن كتابي سيرة أدبية Biographia Litereria، وعون على التأمل Aids to Reflection لكولاردج نفسه ١٩٢٥م.

وتكتمل بترجمته المتأخرة لـ "الفكر الأدبي المعاصر" لجورج واطسن ط ١٩٨٠ وجهة نظـر لـه فـي الترجمة نوجزها في أنه قد كان هدفه منذ سنين أن ييسر للقارئ العربي الذي لا يتقن الإنجليزية الاطلاع على بعض المؤلفات الهامة في النقد الأدبي في هذا القرن، كلما أتاحت له ذلك ظروف الحياة. وغايته مـن تنـوع مترجماته أن يمكن القارئ من تكوين فكرة متزنة عن النقد الغربي، فحين ترجم لريتـشاردز "مبـادئ النقـد الأدبي" رأى من واجبه ترجمة "الشعر والتأمل" لمعارضه هاملتون، أما ترجمته "للفكر الأدبي المعاصر" فَلِمـا في الكتاب من انتقاد غاضب على النزوع الفرنسي الدائم القلق الحافل بالمودات [٥٦] أو البِدع في ميدان الفـن والنقد [٥٧].

كما يتضمن هجوم واطسن على نظرية الشكلية والبنيوية التي عدها أيضا من البدع التي تدعي القدرة على تقديم تفسير شامل للأدب والحياة، حين ظهرت في الخمسينيات، وانتقلت عدواها إلى بعض الـبلاد، إلـى أن حالت وماتت سريعا بمجرد إعادة تشومسكي الحياة لدرس اللغة في ضوء النحو بمفهومه الصحيح.

والكتاب وإشاراتنا الموازية موعزات بالعودة لنحو من المذهب البياني في درس الأدب دراسة موضوعية بعيدا عن المنحى الجدلي الصرف، وذلك بالإقرار بالقيمة العملية للدراسة الأدبية دون التعالي عليها.

وقد دل المؤلف على مجالين للبحث الأدبي "يمكن للمبتدئ أن يحاول أن ينجز فيهما شيئًا" وهمـا مجـالا تحقيق النصوص وتعليم اللغة (الإنجليزية) في ضوء النصوص الأدبية [٥٨] وهما مجالان لعمل أناس يـرون من واجبهم أن يكونوا ذوي فائدة للأحياء، ودعا العقل النقدي أن يتبع العقل الإبداعي في هذين الاتجاهين دون الوقوف عند مرحلة الانتشاء التقاربي؛ وذلك لما تطلبه من جعل دراسة الأدب الإنجليزي تقوم علـى قاعـدة فكرية عقلانية، وأن تعلن عن أهداف لها تبدو فائدتها جلية [٥٩].

وهكذا قد بدأت الترجمة عن الإنجليزية بمحاولات عصامية جادة عند السباعي، ووجدناها تعطـي دفعـة لحركة البعث الوجدانية، كما بزغت من خلالها محاولات للنظر النقدي الفلسفي، كما تكامل فيها للنقـد خطـة تبدأ بالتطور الحدسي للفن وتستفيد من التحليل العلمي والنفسي، كما تجعل للدرس الأدبي نفسه غايات عمليـة إلى جانب غايته الجمالية.

ولا شك أن هناك ترجمات أخرى من لغات شتى، ولا سيما الروسية، وسترد نبذة عن جوركي بين أمثـال له غربيين، وكل ما نُقل منها جميعا إلى اللغة العربية في الخمسين سنة الأخيرة (فـي) بـابي العلـم والأدب (ليؤلف) مكتبة كبيرة جدا[٦٠].

والنمو المطرد للترجمة عن اللغات العالمية يظهر بشيء من المقارنة، فقد بلغ ما نشرته مطبعة بولاق بين ١٨٢٢ – ١٨٤٢ (٢٤٣) كتابا، كما بلغ ما جمعه أمين دار الكتب في بيروت من القصص المترجم من شتى اللغات ١٠,٠٠٠ قصة[٦١] ومع ذلك فإن الأثر الكيفي للترجمة من القصص الغربي في الأدب العربي قد كان مختلفًا عن ظاهر الكم فيها.

هوامش الفصل الثاني

(١) قال: كان "طه حسين" بعد الأستاذ البستاني طليعة الذين نقلوا إلى العربية الحديثة جانبا ذا قيمة؛ لأن الذين حاولوا كانت هناتهم، بل سقطاتهم تجل عن الحصر وتدق عن الإحصاء؛ فمن خطأ مزعج في الترجمة إلى خلط معيب في الوقـائع والأحداث، إلى جهل شائن بالأساطير، إلى بعد شاسع عن الأساليب الأدبية الراقية، إلى خلو مخجل من الاصطلاحات الفنية، إلى مجافاة صريحة للروح الهيلينية؛ وبالإجمال لم يكن ما ترجمه هؤلاء السادة مشرقًا، بل لم يكن مقبولاً يحسن السكوت عليه كما يقول النجاة".

ص ١٠ وقد شفع بالبستاني وطه حـسين مـن الإنجليـز والفرنـسيين والألمـان Alfred et Maurice croiset, Humbert et Berguin; Otfriea Muller, Bergk, Bernhard: (الفكر اليوناني.. ص١١).

* الطهطاوي: ١٨٠١ – ١٨٧٣ م، وتوجهه في الترجمة صنو توجهيه للتحديث والإحياء.

(٢) بحوث ودراسات في العروبة وآدابها ص ١٥٤، ١٥٥.

(٣) نفسه ص ١٥٦ عن تخليص الإبريز في تلخيص باريز، تحقيق وتعليق مهدي علام وأحمد بدوي وأنـور لوقـا سـنة ١٩٥٨، الفصل ٥ المقالة ٤ ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٤) انتهى من ترجمته سنة ١٢٤٥ هـ، وتم طبعه في مطبعة بولاق سنة ١٢٤٩ هـ، نفسه ص ١٥٦.

(٥) نفسه ص ١٥٧.

(٦) ط بولاق ١٢٥٤ هـ.

(٧) يعتبر الدين ذا فضل واضح في ذلك؛ لأن الأساطير اليونانية حين تخالط العلمانية أو الوثنية تصنع شيئًا مثل الحـلاج أو بشار أو شو بنهور أو نيتشه مثلاً – وراجع تقـديم "روي باسـكال" "لهكـذا تكلـم زردشـت – Thus Spake Zrathustra P. VI وانظر فيما يلي الترجمة عن الألمانية، وراجع في أصحاب الشنع الحلاج وبـشار وأمثالهما في الفِصل في الملل والنحل لابن حزم ج ٤ ط دار الفكر، ص ١٨٧، وفي الخوارج: الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ص ٨٤. وكذا رسالة الغفران، تحقيق ودرس، ط ٣ ص ٣٢ – ٤٤ وص ٤٢٩ – ٤٩٥.

(٨) بحوث ودراسات في العروبة وآدابها ص ١٦٢، ويبدو أن عدم الوضوح أو التشوش الذي نُعت بـه عرض رفاعة مرجعه إلى ما يأتي:

- وصف المرحلة الأسطورية (مرحلة هوميروس) بأنها مرحلة ذوق سليم وقوة، مدركة في ذلك باعتبار آداب الفطرة آداب قوة في الحس، وهذا كوصفنا للجاهلين وأدبهم أيضا في الترجمة عن الألمانية.
- تعبيره عن التراجيديا بالقصائد الحزينة أو عن الدراما بفن القصائد الألعابية، والتعبير متأثر بتعبيـر الأوربيين عن المسرحيات بأنها plays مثلاً، وليس في ذلك عيب، لولا أن المصطلح لم يعد مألوفـًا، وتعبير رفاعة لو رشد به في الثقافة العربية لكان أدق، ولكن الذوق المعاصر لنا اختار مـصطلحات مسرحية وملهاة ومأساة.. وما إلى ذلك.
- نسبته الفصاحة الحقيقية إلى بركليس في العهد السفسطائي دون بيان الوجه في ذلك.

(٩) نفسه ص ١٦٣، ١٦٤.

(١٠) في سنة ١٨٨٧ – ١٩٠٢ نقل أميل البستاني (الإلياذة) شعرا وطبعتها المطبعة العربية، وترجمت الإلياذة كذلك (في شكل قصة نثرية) عنيزة سلام الخالدي متابعة لألفرد تشرش. كما ترجم شبل شميل (فيجينيا في أوليد) الاتجاهات الأدبية للمقدسي، ٣٧٧، ٣٧٨.

(١١) مقدمة ترجمة دريني خشبة للإلياذة، ص٨، ٩.

(١٢) استقبال طه حسين للكتاب وأقسامه العشرة بحديث الأربعاء ص ٥٥ ج ٣ ط ١٠ – دار المعارف – ورد ذكر شيء من ذلك في مبحث الدستور والأحرار الدستوريين بالفصل الأول بالدكتوراة.

(١٣) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه ص ٤٦.

(١٤) طبعا بدار إحياء الكتب العربية بمطبعة عيسى البابي الحلبي في متن وهامش تال.

(١٥) حافظ وشوقي – شعراؤنا ومترجم أرسطاليس (رقم ١١) وعبد الرحمن شكري تأليف د/ أحمد عبد الحميد غراب ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٥٥.

(١٦) مقال ساعة مع الأستاذ لطفي السيد للزيات بوحي الرسالة ج١، والمناظرة نفسها في نقد الشهرستاني لمعاصريه في المِلل والنحل، ط دار الفكر، ج ٢ ص ١٥٨، وفي نقد "مرسيليو أوف بدوا" بكتاب "الفكر السياسي الغربي" للدكتور علي عبد المعطي ص ١٦٤، ط دار المعرفة الجامعية، وتراجع إشارتنا ص ٥٤ بالدكتوراة.

(١٧) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص ٣٢ وطه حسين وزوال المجتمع التقليدي ص ٣٧.

- للشيخ المراغي تعريف وجيز سريع بالفلسفات اليونانية وأعلامها، قدم بها لدراسته في الغزالي.
- الفكر اليوناني أو الأدب الهيليني لغلاب، ط ١، دار الكتب الحديثة، ص ٢٧٢.

(١٨) دور الزيات في دراسة ألف ليلة وليلة بكتابه في أصول الأدب ١٩٣٤. في رسالتنا السابقة ص ٧٣، وقد اتخذت الدكتورة سهير القلماوي "ألف ليلة وليلة" موضوعا لها في الدكتوراة سنة ٣٧، ومقتبس د. عبد الحميد يونس صدد شخصية المهدي في كتابات الزيات بالماجستير ص ٥٧، وذكر أبطال الريادة والفروسية والفتوة لدى الزيات وأحمد أمين وعمر الدسوقي ص ٥٨ بها.

(١٩) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية – تأليف ميجيل آسين "ترجمة جلال مظهر، نشر الخانجي، ص ١٤، ومقدمة المؤلف نفسه ص ١٠ – ١٣.

(٢٠) لمظهر كتاب "حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي" وللعقاد أثر العرب في الحضارة الأوربية، وللشكعة "الأدب في موكب الحضارة الإسلامية" ج ١، ج ٢، ولـ "زنغريد هونكه" كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب: أثر العرب في حضارة أوروبا"، انظره في ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١ م. (الطبعة السادسة).

(٢١) الأهرام، مواقف ص ١٧ – ٩/ ٤/ ١٩٨٢ وسمة الغزارة في نقله تذكرنا بمشبهها عند محمد السباعي.

(٢٢) من هؤلاء إلياس الحداد مترجم ناثان الحكيم لِلسنج، وسليم سعدة مترجم أناشيد عن هيني. وكذلك ترجم حسن صادق "الحب والدسيسة" لفريدريك شيلر، وترجم صبحي أبو غنيمة قطعا أخرى، كذلك فعل كل من جواد علي ومدحت مظلوم وشديد باز الحداد – الاتجاهات الأدبية للمقدسي ص ٣٨١.

(٢٣) دراسة هذه الظاهرة في أدب جيته (ديوانه الشرقي وحملته على المذهبية بموسوعة العقاد) "أعلام الشعر" ص ٥٢٢ – ٥٢٦ في ط دار الكتاب اللبناني سنة ١٨٧٠، ومتن هذا البحث يوقفنا على دفاع روزنتال عن مناهج البحث عند المسلمين، وحملة مماثلة لوطسن على المذهبية الفرنسية ترد في هذا الفصل بعد، وإشارتنا إلى هونكه قد سبقت قرين إشارتنا إلى مظهر والعقاد والشكعة قبل.

(٢٤) يلي تطور نظرة الغرب إلى العرب في هذا الفصل، وهو عكس ما رصد في هذا الفصل نفسه من تطور النظرة في الغرب إلى القرآن الكريم من التهوين إلى الاهتمام إلى الالتذاذ إلى الاعتناق.

(٢٥) من حديث للدكتور "واف تيترتيش فيشر" (الأستاذ بجامعة "أليرليجن" بألمانيا الغربية وعميد آدابها الـسابق وعـضو جمعية المستشرقين الألمان) ولتلميذه الدكتور رفعت الفرنواني – تليفزيون القاهرة – القناة ٢ – الساعة ٩:٤٠ مساء ٣٠/ ٣/ ١٩٨٢.

(٢٦) النقوش المسمارية عن الأسرة البابلية الأولى، كما ورثت العربية عنها: نظام قانون حمورابي، وكانت محاولة الضبط الكامل ونمو الصيغ وفك رموزها قائمة على قدم وساق خلال العشرة للأفعال ولو أنت كتابتها أخصب فترة من حياة أرنست شوميرية (مقطعية معقدة) رينان الاستشراقية ولو أنه رفض تماما أن يوجه بصره إليها ذاهبا في الباب الثاني من الكتاب الرابع من مؤلفه "التاريخ العام والنظام المقارن للغات السامية أن العربية لم تمر بمراحـل بدايـة وسـط وتنظر النقوش السبئية والمعينية ورموز رزس شمرا الأوجارية (اللهجة الفينيقية القديمة) وكذا نقوش ببلوس جبيـل في لبحث أهداه "أدوارد دورم" عضو المجتمع الفرنسي إلى "لويس ماسينيون" عضو المجمع المصري، ومن ترجمـة عبد الحميد الدواخلي، ويلاحظ بالإضافة إلى مثل ذلك فيما أوردنا في الاستشراق في البيئة العربية في مواطنه مـن البحث اعتداد دورم بحثه كذكرى له مع ماسينيون خلال الحرب العالمية الأولى، حيث عاشا شبه حياة المعـسكرات في الدردنيل ومقدونيا (مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٢ ط ١٩٦٠ – مقال دورم: العربية الفصحى ولغة حمـورابي ص ٢٨٥ – ٢٩٢).

(٢٧) جريدة أخبار اليوم ص ١٢، ١٨/ ٣/ ٧٣.

(٢٨) مما يؤسف له أن الاتجاه بين النقاد العرب كان – إلى ما قبل مرحلة إعادة النظر التي درسناها - يجهل قيمة الشعر الجاهلي وأهميته، وجدير بالذكر أن بروكلمان عده ممثل الصحة العقلية والجسمية التي حفظتها البداوة على العرب، وثمة آراء أخرى محققة الآن. في ذلك الاتجاه إعادة النظر برسالتنا الجامعيـة الأولـى ص ٢٧ – ٢٩ وهوامـشها وجملة أقسام الفصل الأول.

(٢٩) الحديث التليفزيوني نفسه.

(٣٠) وحي الرسالة ١ – ٨ ص ٩٢ – ١٠٧.

- دوره الريادي في النقد يلي في الفصل القادم.
- انظر ص ٩٧ ف ٤، ص ٨٧ (متن وهامش)، وفي المؤلفات في قضية تأثير العرب في أوروبا، انظـر ص ٥٧، ف ١، ٢ والهامشين ١ و٢.

(٣١) وحي الرسالة ج ١، ط ٨، ص ٩٢ – ١٠٧.

(٣٢) في سنة ١٩٢٠ – ٢١ نقل رواية الواجب لجول سيمون بالاشتراك مع محمد رمضان، وفي سنة ١٩٢٤ نقل قصص تمثيلية لجماعة من أشهر الكتاب الفرنسيين.

وفي سنة ١٩٣٥ نقل قصة (أندروماك) لراسين.

وفي سنة ١٩٤٢ كتب لحظات.

وفي سنة ١٩٤٣ – صوت باريس.

وفي سنة ١٩٤٧ نقل زاديج أو القدر لفولتير، ثم من أبطال الأساطير اليونانية لأندريه جيد.

وفي سنة ١٩٥٩ من أدب التمثيل الغربي.

(طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه للأب كمال قتله ص٦٢ – من نقله عن دراسة إلى طه حـسين بإشـراف د. عبد الرحمن بدوي ط ٦٢).

(٣٣) نفسه ص٦٣، ٦٤، ٦٥.

(٣٤) ممن ترجم لحياتهم طه حسين بصفتي الصدق والصراحة، كما شابههم في صفة التمرد المعري، ومنهم مـدام ديفـو التي آثرت حياة الأدب على الترف، ولها رسائل في الحب في السبعين من عمرها، بالإضافة إلى غيرها من النـساء الأديبات أو اللاتي قد كان لهن أثر في نبوغ بعض الرجال، نفسه ص ٦٦ – ٨٠.

(٣٥) مذكرات في السياسة المصرية جـ ١ ص ٦٦.

* هيكل والسياسة (السياسة الأسبوعية) ص ٧٩ وقد توفي هيكل سنة ١٩٥٦ قبل أن يصدر الجزء ٣.

(٣٦) The Encyclopaedia Britanica Vol. 17 – 68 P. 992 COL. 1.

ويبدو أثر العلوم الحديثة وعلم النفس واضحا في إخراج الفكرة الخلدونية عن أثر البيئة في أجيال النـاس وطبـاعهم وعمرانهم من مكمنها، وتنظر المقدمة ص ١٤٨ – ١٥٠ وص ٥٧ – ٥٩، والعلمان الغربيان الآخران همـا: Ferdin and Bruntiere 1841 – 1906, Sinte Beuve 1804 – 1869.

محور نظرية بيف قبل تخليه عن كل قواعد مسبقة، تأريخ الأدب على أساس تصنيف المبدعين فصائل حسب أمزجتهم النفسية، ومحور نظرية ثالثهم (برنتيير) النظر إلى الفنون والآداب في ضوء نظرية النشوء والارتقاء، وسيرد ضـوء منها عند نعمان عاشور في الاتجاه الاجتماعي، وتابع متجه النقد الغربي إلى نحو من البيانية العربية، والنهج النقـدي الإحيائي (الارتدادي) المتكامل عند محمد سعيد (ص ٧٩ ف ٢، وص ٨٢ ف ٣.

- مداخلة منا عن د. صلاح فضل/ منهج الواقعية ١٩٧٨، ص ٢٧.

(٣٧) التوفيق Eclecticime غير مذهب التلفيق Syncetism.

(٣٨) The Ency Clopaedia Britancia p. 993.

(٣٩) محاضرات في الفلسفة ص ٢، ٣، ٥.

(٤٠) النقد "المنهجي" عند العرب ط نهضة مصر سنة ١٩٧٢ ص٣، ٦.

(٤١) عاد مندور فانتسب إلى الاتجاه الفرنسي في عمومه، وأعمل ميزانه الجديد هذا الذي يشبه قضاء سانت مـوف بـلا قانون في ٣٢ مقالة تقريبا، بدأ فيها مندور رافضا جميع صور النقد المتاحة في أدبنا؛ مما أدخله في شبه معارك مع العقاد وسيد قطب وخلف ا وغيرهم من الكتاب، طبع دار نهضة مصر سنة ٧٣.

(٤٢) التدقيقات من مراجعتنا على:

- طبقات الشعراء، تحقيق محمود أحمد شاكر، ط مدني ١٩٧٤ (المقدمة) والمصادر الأدبية واللغوية، ط ٧٦ ص ٢٢٢.
- وأبو الفرج الأصفهاني ومصادر كتابه الأغاني – ماجستير لأحمد صابر، إشراف أيوب وسويد بجامعة بايرو سنة ٧٩ ص ٨٤، وقد وصل العدد عند ابن سلام بسبب صعوبات واجهها في التطبيق إلى ١١١ شاعرا.

(٤٣) تدريس أسرار البلاغة في الأزهر بواسطة محمد عبده بمحضر رضا والمهدي وغيرهما، بعد شـروع رضـا فـي نشره، وتحقيق محمد عبده لدلائل الإعجاز ص ك، ط، ى أسرار البلاغة ط ٦/ ١٩٥٩م. وفي الخبـر والجرجـاني راجعنا أيضا "كتاب عالم اللغة" لعبد القاهر الجرجاني ط دار المعارف ١٩٨١ ص ٤ مثلاً، وهو بحـث للبـاراوي زهران مدرس علم اللغة بآداب سوهاج، وتحكيم مندور لعبد القاهر في نقد الصورة والتعبيرات الهورميرية مـستقبل في الصفحات التالية – هذا إلى ثلاث مقالات لمندور عن الجرجاني في "الميزان الجديـد"، وللعـشماوي مقارنـات للجرجاني بكولاردج وآخرين في "قضايا النقد الأدبي والبلاغي"، والزميل أحمد الصاوي ماجـستير فيـه بإشـراف الأستاذ الدكتور هدارة بعنوان "النقد التحليلي" عند عبد القاهر الجرجاني أودعت مكتبة كلية الآداب سنة ٧٢، ويراجع كتاب الدكتور مرزوق "شوقي وقضايا العصر والحضارة" ص ١٤٣ – ١٥٦ وكتاب الدكتور عفت الشرقاوي "بلاغة العطف في القرآن الكريم – دراسة أسلوبية/ ٨١ بدار النهضة العربية ببيروت – الفـصل الأول – "نظريـة الـنظم وقضايا الإعجاز البياني".

(٤٤) راجع "تين" فيما سبق.

(٤٥) النقد المنهجي عند العرب ص ٣٩٥ – ٤٠٨.

(٤٦) النقد المنهجي عند العرب ص ٤٠٩ – ٤٢٣.

(٤٧) اتجاه موضوعي كالرمز بأسطورة معينة إلى قضية تشغل الكاتب، أو اتجاه يتصور فيه الأديب أحداثًا يرمز بها إلى ما يدور في نفسه أيضا، وهناك رمزية التعبير الشعرية المعروف في المجاز (بدرجاته المختلفة).

(٤٨) بحث الدكتور مندور منشور في مجلة مجمع اللغة العربية جـ ١٢، مطبعة التحرير، سنة ١٩٦٠ ص ١٩٥ – ٢٧١.

(٤٩) بإيجاز وتصرف في الترتيب من مقال د/ عبد العزيز الدسوقي بمجلة الهلال؛ وتقديم يوسف السباعي لكتاب مائة قصة – من ترجمة والده، دار الجمهورية ونشر دار الفكر، وسمة الغزارة في النقل والإنتاج مما وقفنا به عند أنيس منصور أيضا ٥٧ ف ٣.

(٥٠) رفاعة رافع الطهطاوي – أبو العزم ص ٤٩، صورته الجسمانية والنفسية ص ٤٨ – الوطن ٥٤، حب الوطن (مصر) ٥٧ وطهطا ٦٤.

(٥١) الاتجاهات الأدبية لأنيس المقدس ص ٢٧٩ – ٣٨٥.

(٥٢) منهم ملتون وبايرون، وكيتس ولو نفلو وبتلر وشيلي وروزتي ووردزورث وتنسون وجراي وهاردي وكيلنج وماسفيلد وتوماس مور، وسواهم.

(٥٣) ومترجماته عن الإنجليزية – بخلاف ما تعلق فيها بالفكر اليوناني تشمل:

- الأغنياء والفقراء تأليف ٥ هـ. ج. ولز، جـ ١، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧.
- والأغنياء والفقراء تأليف ٥ هـ. ج. ولز جـ ٢، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٣.
- نشأة الحضارة لوول ديوارنت، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠.
- اليابان، نشر لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥١.
- تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند راسل، جـ ١ نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٤.

تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند راسل جـ ٢، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٥.

ومما نشر له من تعريفه بفلاسفة غربيين وأفكار وتجارب غربية في: نظرية المعرفة ١٩٥٥ – أيام في أمريكا ١٩٥٥ برتراند راسل ١٩٥٦ – حياة الفكر في العالم الجديد ١٩٥٦ – ديفيد هيوم ١٩٥٨.

ومن كتبه ذات الاتجاه العلماني الغربي: شروق من الغرب ١٩٥١، المنطق الوضعي ١٩٥١، قصة الفلسفة الحديثة جـ ١، قصة الفلسفة الحديثة جـ ٢، قصة الفلسفة الحديثة جـ٣، ١٩٥٢، خرافة الميتافيزيقا ١٩٥٣، نحو فلسفة علمية ١٩٥٨.

وتعد ترجمته لـ"آثرت الحرية" "للرافتشنكو" سنة ١٩٤٩ صدى متأخر للاهتمام العالمي والمحلي بقضية الحرية، وكتيبه جنة العبيط أو أدب المقالة طبع ١٩٤٧.

(٥٤) نحو فلسفة علمية، ط الأنجلو ١٩٥٨ ص هـ.

- للغربيين تقسيمات أخطر من هذه للتاريخ المعروف، ومنها تحليلهم للتاريخ في ست مراحل بدل الثلاث المذكورة.

1) The Age of Belief: The Medivial Philosphers: St. Augustine Abelard, St. Barnard, St. Thomas. Aquinas, Dunsscotus, William of ocham.
2) The Age of Resson – 17th Century: Becon, Pascal, Hobbes, Gelileo, Descartes, Spinoza, Leibnz.
3) The Age of Enlightement – 18 hcentury: Berkeley, Locke, Hume..
4) The Age of Ideoiogy – 19th Century: Aiken – Kant Fiche Hegel, Schopenhauer, ComtMill, Speneer, Marx, Nitzche kiregaard.
5) The Age of Analysis – 28 th century: Peirce, White head, James Dewy, Rassel, Wittgenstein, Croce, Bergson, Sartre, Sar tre, Santayana.

(٥٥) كتاب الخطابة لأرسطوطاليس – ترجمة وتحقيق د. إبراهيم سلامة ط ٢، الأنجلو سنة ١٩٥٣ م، ص ٥ ف ٣.

(٥٦) مقدمة المترجم ص ٧ – ٩ من "الفكر الأدبي المعاصر".

فصل – النقد الجديد الفرنسي ص ٧٥ – ١١٥ "الفكر الأدبي المعاصر"، وراجع ملاحظتنا على أحمد كمال زكي فـي رسالتنا السابقة ص ١٣ (آخرها) أو الفصل الأول منها في عمومه.

* نشأة الفكر الفلسفي لعلي سامي النشار، يؤصل للمنهج الاستقرائي والفكر المنتج في الإسـلام، وفلـسفة الجوانيـة للدكتور عثمان أمين تأخرت إلى سنة ١٩٥٤، ورغم التوجه بالجوانية إلى إعلاء قيمة الضمير فإنها – شـأنها شـأن ديموقراطية خالد محمد خالد الإسلامية – لم تلق ما تستحقه من رجال الثورة الذين كانوا معقد آمال الغالبية المثقفة في واقع الأمر.

(٥٧) الفصل الأول والأخير ص ١٥٧ – ١٨٦ أفكار لجدول أعمال أو ص ١٧١ خاصة.

(٥٨) نفسه ص ١٨٦.

(٥٩) الاتجاهات الأدبية ص ٣٨١.

(٦٠) نفسه.

الفصل الثالث

أثر الترجمة في الأدب العربي الحديث

لكن تقييم نقادنا لدور الترجمة أو أثرها في الأدب العربي الحديث يختلف ويتناقض حتى ليتـرك لنـا مجالاً لبعض رأي نراه في ذلك.

- فقد بدت – للدكتور أحمد كمال زكي – المحاولات التي قامت بها مجلتا "البيـان" ومـن بعـدها "القصور" ومترجمات "المقتطف" و"المحتجبة والهلال القديمة" صرخات تضيع في واد، ولم تـدفع أحدا إلى أن يركز على النقد، فظل انطباعات متنافرة وأفكارا مشتتة تعجز في كثير من الأحيـان حتى عن أن تفرق فنيا بين الوجدان والخيال، ذلك إلى عهد جعل بدايته أحمد أمين حتى وضـع الخولي خطته الشاملة في النقد، وظهور من أسماهم بالشبان الواعدين من تلاميذه، أما الأدب، فقد بدا للناقد كذلك أنه منذ ذلك الحين تنبه أدباؤنا إلى خطورة الوقوف عند مرحلة البلاغة التي تعنى أكثر ما تعنى -على حد قوله – بالشكل... على افتراض حضور المعاني(١).

بينما بدا الأمر للدكتور لويس عوض بأنه قد كان ذا أثر قوي، فعل فعله في المجتمع المصري، وحرك ثورته سنة ١٩٥٢؛ وهو الأثر الذي أرجعته الأستاذة بنت الشاطئ إلى عوامـل أوصـل رحمـا بـالمجتمع المصري، وخاصة في ريفه، وكذلك هونت أثر الترجمة والمثقفين الغربيين عموما، رغـم ادعـائهم قيـادة المجتمع وتحقيق الثورة (٢) ودعمت رأيها بإحصائيات وأسانيد قوية، منها الثابت من شيوع كتب طه حـسين وهيكل الإسلامية وتفضيلها على مترجماتها.

وأما أثر الترجمة في أشكال أدبية بعينها فقد قال فيه الزيات:

"ولو شاء ا لأدبنا الكمال من نقصه لألهم المترجمين في عصر المأمون أن ينقلـوا روائـع الأدبـين الإغريقي واللاتيني من الشعر والقصص والروايات والملاحم، كما نقلوا العلم والحكمة" (٣) ورأيه هـذا يـدل على شعور بالنقص راود جيله حتى دفعهم إلى محاولات عديدة لسد هذا النقص، كالذي فعله الزيات في كتابه "في أصول الأدب" فقد ضمنه محاضراته في العراق واستفاداته من المستشرقين وغيرهم، والكتـاب يعـرف بعلوم الأدب المختلفة وبمفهوميه: العام والخاص، ويقدم تفسيرا له في ضوء الاجتماع والأديان والبيئة، وغير ذلك، كما يعنى بالتعريف بالفنون الغربية والعربية التي تماثلها أو تباينها، كما يضم الكتاب ترجمات لـبعض الشعراء، كما قدم تأريخًا لألف ليلة اعتمدت عليه دائرة المعارف الإسلامية ووطدت شهرة الزيـات، وذلـك ضمن خطة أدبية شاملة اكتملت للزيات معالمها خلال تحريره "الرسالة" و"الأزهر" فيما بعد (٤). وفي مجـال التأصيل للفنون الموضوعية فإنه يذكر له أنه أضفى الشرعية على الملاحم الشعبية وتطبيق الـدرس النقـدي عليها؛ مما فتح الباب لسهير القلماوي وعبد الحميد يونس وأحمد رشدي صالح، وساعد علـى تكـوين تيـار أكاديمي معني بدراسة التراث الشعبي وإخراجه إلى النور، ومنه ما أوردناه من دراسـة عرضـت حديثـة للأوزان الشعبية ضمن كتاب موسيقى الشعر وغيره، ثم إن من رأي الأستاذ الدكتور محمد مندور في ذلـك،

أن فن الملاحم انتقل بعد العصر القديم من الأدب الفني إلى الأدب الشعبي، ثم انتهى به الأمر إلى الاختفاء، فلم تعد الإنسانية تبتكر ملاحم جديدة، وإن ظلت تطرب للملاحم القديمة، أما تجريب عمل ملاحم جديدة في أدبنا فإنما هو ضرب من المجازفة التي تتنافى مع حقائق الأدب المعاصر، بل حقائق النفس الإنسانية؛ ذلك أن الأستاذ الدكتور "مندور" لا يظن أن أحدا منهم يستطيع أن يهيئ في نفسه تلك الطفولة الغضة والسذاجة الساحرة التي يكمن فيها جمال الملاحم القديمة [٥].

ويرى الدكتور مندور كذلك أن أثر الاتصال بالغرب في شعرائنا المجددين من أمثال "عبد الرحمن شكري وإخوانه من رواد التجديد في شعرنا العربي المعاصر ينحصر في مجرد (أنه) ردهم إلى المعنى الاشتقاقي الخالد للفظة "شعر" في لغتنا، ومن هنا كان التقاؤهم الغريب مع الرومانسية، وسيلي قول الرافعي المماثل لذلك، كما سيلي تقرير إبراهيم أنيس عن بطء تأثير موسيقى الشعر بالتجديد [٦].

والواقع إن عبارة العقاد التي أوردناها صدد حديثنا عن مدرسة الديوان عن فضل النشر والترجمة في تعرف الناشئة مزية الكلام البليغ؛ تظهر لنا أثر الترجمة معادلاً لأثر الإحياء عندهم.

وهو أثر استبعد منه العقاد مذاهب الهزل الأوربية، كما استبعد جديد الأوزان والقوافي لاستغناء العرب بما لديهم من كل ذلك، وهو مما لا يقتصر على أمة دون أمة، ثم إنه أيضا لم ير المذهبية الجادة في الغرب تخرج عن حدود الطبيعة الإنسانية في كل الأمم والأجيال، ولكنه ذكر آثارا محمودة للمذاهب الغربية كما عرضنا رأيه ورأي غيره فيها في الاتجاه الاجتماعي، وهي آثار قد انتقلت إلى الشعر العربي وصور التعبير الأخرى منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين. قال:

"فإننا إذا عرضنا الشعر العربي لم نخطئ أن نرى أثرا جديدا لكل مذهب من المذاهب الواقعية أو التمثيلية أو الطبيعية أو الإرادية الحديثة أو الابتداعية المتحررة، وقد تتراءى هذه المذاهب في أغراض الشعر كما تتراءى في أساليب النثر، ومنها الأغراض التاريخية والاجتماعية والملاحم والمسرحيات والأغاني العاطفية والأناشيد القومية، ولكل مقصد من المقاصد التي ينظم فيها شعراء الغرب، مع الفارق (في) الزمان والوفرة، وسعة النطاق"[٧].

- هذا في مجال التأثير الأدبي بالغرب، وهو من فعل الترجمة والاتصال الثقافي على العموم، أما في مجال الإحياء فقد كان الأثر مواكبا لذلك، وهذا هو الإحياء أو "الارتداد" الذي كشف عنه الدكتور عبد العزيز الدسوقي في كتاب محمد سعيد "ارتياد السعر في انتقاد الشعر" الذي نشره منجما في "روضة المدارس" سنة ١٨٧٦[٨] مواكبا لحركة البعث الأدبي العامة [٩]. فمحمد سعيد إذن هو الذي أثار شوق الباحثين إلى التفتيش عن نقد الشعر، ولعله أول من استخدم المصطلح انتقاد الشعر قبل نجيب الحداد ويعقوب صروف والمويلحي وغيرهم من رواد نقدنا الحديث [١٠]، ولم يقتصر على الشعر، بل تحدث عن الرواية والرواة على ضوء نظرة تاريخية محددة، فمهد الطريق فيما بعد أمام الرواد الذين درسوا الأدب بالمنهج التاريخي أمثال محمد دياب ومصطفى صادق الرافعي وجورجي زيدان، بل إنه سبق إلى تحديد "عملية الإبداع الشعري وربطها بالمحيط الاجتماعي والإطار الثقافي".

- ومعنى هذا كله أن الترجمة كانت من عوامل بعث القديم والتذكير بفضله في إطار حركـة الإحيـاء العامة؛ شأنها في ذلك شأن معظم عوامل الاتصال غير القسرية بالغرب، ولو أن حفيفها كان يغطـي علـى بعض أصوات عربية حية عذبة، ومما لا شك فيه أن الأثر الرومانسي كان كبيرا وكان قد بلغ مبلغ الخطورة حتى تصدى له بفكرة الشعور "العربية" لكن أضرار التقليد لبعض الأدب الواقعي الغربي، وعراك الشعوريين للرومانسيين مستقبلان في البحث.

- لكن الأمر يزداد غموضا وغرابة، فنجد سيد قطب يكاد يدين بالفضل للترجمة عن الأدب الوجـداني الغربي في معاونته على إدراك دقائق وظلال الجمال الفطري في القرآن الكريم، ذلك الجمال الذي ذكر أنـه يندر في الأدب العربي كله، كما أوضحنا في تنظيمنا لآرائه في صورتها التكاملية التي أوردناها عليهـا فـي بحثنا لمجهوده النقدي في الاتجاه النفسي.

- ويحوجنا الأمر إلى الخروج من الدائرة المصرية هنا أيضا لكي نلم برأي محـدد للـدكتور أنـيس المقدسي في أثر اللغات الأجنبية في الأدب العربي الحديث، فقد رأى أنه حقا قد نشأت فـي بعـض البيئـات العربية طبقة تكاد تنقطع الصلة بينها وبين لغتها وتاريخها، فلم تساهم في حركة التجدد القومية التي يمتاز بها عصرنا، ولكنه قد قام بهذه الحركة فريق آخر جلهم من الذين قرنوا دراساتهم للآداب الإفرنجية بتوفرهم على درس أدبهم القومي والمحافظة على أساليبه اللغوية، وذكر أن التجدد نما نموا سويا، له فـي النثـر والـشعر ظواهر عامة، أهمها:

في النثر: تجدد الأسلوب الإنشائي.

تطور الفنون الكتابية.

في الشعر: التصميم الفكري أو المحافظة على الوحدة في النظم والتسامي الخيالي، أو توخي الروعـة البيانية.

حرية الإخراج أو التفنن في أساليب التعبير.

- وفيما مر من مدلول الارتداد أو الإحياء وكيفيته عند أدبائنا المصريين تخصيص للعموم البادي فـي قوله "تحدد" و"وحدة" وغير ذلك، ولكن قوله: تطور الفنون الكتابية "وحرية الإخراج" إذا كان يقصد بـه مـا اسـتُعير مـن أشـكال فـي التعبيـر الأدبـي الغربـي كالقـصة والروايـة والملحمـة، ممـا قـد لا ينازع طويلاً في نسبته إلى الغرب، فإن المنازعة إنما تثور حول المدى الذي بلغه أدباؤنا من الإتقان فـي الأثواب المستعارة، سيما وأن الإقبال على الثقافة الأدبية الغربية قد حاف بها على بعض جوانب من الثقافـة العربية، حتى في نفوس الدينيين بها [١١].

- وقد مر بنا قول الدكتور مندور بفشل أدبائنا في محاولات إنشاء الملاحم، فما مـدى تـوفيقهم فـي اصطناع الشكل القصصي الحديث، وما مدى قربه أو بعده من فنون العرب القصصية المعروفـة: مقامـات ورموز حكوية ورسائل قصصية ونحو ذلك؟

- إن ثمة بحثين للماجستير في جامعة القاهرة، يظهران مدى الاهتمام بفن المقامة والتعلق بها فـي البحث النقدي الجاد، الأول سجله أحمد محمد الريس في ١٩٣٨/١/٢١ بعنوان "نشأة المقامات –

بحث في المقامات الذبيانية والحريرية، أشرف عليه عبد الوهاب عزام، وقد أجيز في ٢٢/ ١٢/ ٤٠/ ٤١.

- والبحث الثاني سجله مصطفى الشكعة في ٢٦/ ٤/ ٥٠ بعنوان "بديع الزمان الهمـذاني تاريخـه وأدبه" أجيز في ٥١/٧/٢ بتقدير جيد جدا بإشراف الأستاذين أحمد الشايب ومصطفى السقا. *

ولقد ظلت المقامة تتجاذبها وتتدافعها أيدي النقاد، وتتعرض أثناء ذلك لسخط الحاقدين عليهـا ولغيـرة الباخلين بها، وكانت تلقى إنصافًا من فريق وسط، وفي جميع ذلك كان الجدل يدور على أسلوبها في المحـل الأول، ثم على أفكارها في المحل الثاني، ووجدت الصحف في ذلك مادة لحرب أدبية جديدة ولكنها باردة في أيامنا.

أما اتجاه الأستاذ الدكتور مصطفى محمد الشكعة فيعد المقامة قصة قصيرة، ويعد العرب بها سـابقين للغربيين شأنهم في ذلك شأن آثارهم التي أحصاها في موسوعة الأدب في "موكب الحضارة الإنـسانية" فـي الشعر والنثر.

ومما نشرته الصحف مؤخرا للدكتور الشكعة "أن المقامات التي كتبها بديع الزمان الهمذاني هي عبارة عن قصص قصيرة "وبذلك سبق العرب في كتابة القصة القصيرة"، وهو رأي رد عليه الدكتور سـيد حامـد النساج فقال بأن "القصة القصيرة فن غربي حديث، لم يعرفه العرب من قبل، وأن المقامات ليـست قصـصا قصيرة بالمفهوم الحديث".

وفي حلقة ثانية عرضت الصحيفة الرأي على ناقدين آخرين، أولهما الأستاذ الـدكتور زكـي نجيـب محمود، ولا بد أن القارئ يتوقع رأيه لما سبق عن بياننا اتجاهه في طريق الفلسفة الغربية، لقد عـد المقامـة "أدنى إلى أدب المقالة" ثم عاد فتساءل لماذا لا نجعل المقامة العربية جنسا عربيا خالصا"؟ ثم فرق بأن "القصة القصيرة إنما تدور حول حدث واحد رئيسي، تنبثق منه إشعاعات أو نتائج كلها تدور حول ذلك المحور، وأما المقامة ومن صفاتها الرئيسية "هندسة الكلمة" (وعد) كاتب المقامة.. بمثابة من يزخرف آنيـة مـن النحـاس أو يزخرف جزءا من مبنى أو مسجد".

ولم يعد الدكتور زكي محمود تشريفًا للمقامة أن يقال إنها قصة، وكرر بأنه ليس تشريفًا أن أدرج مـا عندنا في مقولات غربية سواء في ذلك مقولة قصصية المقامة أو ديمقراطية الإسلام، وفي الثانيـة ذكـر أن للديموقراطية حدودا معروفة على مدى التاريخ الغربي، وهو قول مخالف لتطور الجهاد الفكري الغربي نفسه نحو الديموقراطية في صورها المتعددة على نحو ما مسه بحثنا هذا في موطن منه، وكقولـه: ليـست تلـك الحدود هي التي تَمثُل في الديموقراطية العربية الإسلامية.

وواضح أن الفكر الفلسفي كما تمثل في الدكتور زكي محمود ما زال يتحسس طريقه في النظر العـام إلى الخصائص الفنية المحدودة، وأن رأيه في طبيعة المقامة أو قيمتها لم يتبلور بعد.

فالمقامة عنده معدودة في المقال مرة وفي الزخرفة أخرى، وفنا بذاته كرة ثالثـة، وتعريفـه للقـصة القصيرة لا يحيط بأنواعها، وقد كثرت كثرة مفرطة، كذلك فإن عده الرأي المخالف له مفاخرة سواء صح أو لم يصح يدل على عقدة نفسية قد لا تزال قائمة فينا من أثر الصراع أو المنافسة بين حـضارتنا والحـضارة الغربية.

أما الرأي الثاني فهو للناقد الأستاذ علي شلش، ولست أدري أيرجع دقة تحليله وموضوعيته إلى كونـه قد جاء آخرا في النقاش بحيث استفاد من تردد سابقه، أم لأنه هو ناقد فني موضوعي، ومهما يكن فلقد عمـد الناقد إلى القصصية فوجدها شركة في الفنون العربية والغربية "والقاسم المشترك الأعظم بينها وهو السرد أو القص أو الحكي" (١٢).

ثم إنه نظر في ميراثنا القصصي العربي فوجده غنيا "بلا شك" وهو ينقسم إلى أخبار وتواريخ ونـوادر وملح وطرائف ولطائف ومقامات وسير وملاحم شعبية، وذكر أن عناصر ذلك الميراث القصصي الفنـي لا تزيد كثيرا على أية عناصر أخرى في أي ميراث قصصي في أية لغة أخرى.

أما الفارق بين القصص العربية والغربية فيكمن في التطور، كمـا أن مكمـن التطـور فـي الخبـرة الحضارية، وهذه ظاهرة صاعدة هابطة أو متبادلة بين الحضارتين، فقد أخذت أوروبا نفسها من العرب فـي العصور الوسطى، وقبلها الكثير من العناصر الثقافية والحضارية، كما أخذ العـرب مـن أوروبـا بالـشكل القصصي الذي طورته حديثًا.

كان الأوربيون في قوله كما العرب يسمون القصص "حكايات" أو صورا وصفية أو صورا مسلية، بل كانوا يسمونها أحيانًا مقالات، ولم يميزوا بين القصة القصيرة وغير القصيرة إلا سنة ١٨٨٥ (في تحديده).

أما دافع التطوير عندهم فلم يكن مجرد الهواية أو النزوة، إنما كان ذلك في ظل عدد من العوامل، مثل ازدياد التعليم وحرية المرأة والتقدم الصناعي وظهور المطبعة والصحف والدوريات المختلفـة. قـال: ولـو ظهرت عندنا هذه العوامل قبل ظهورها في أوروبا لطورنا ميراثنا القصصي قبلهم.

وكالذي حاولناه وحاوله ناقد آخر سيلي ذكره في بيان أثر الأسلوب القصصي القـديم فـي القـصص الحديث عندنا في بداياته عند المويلحي ومحمد السباعي ولمسناه في بعض أعمال نجيب محفوظ أيضا، وجـد شلش أنه "لا يمكن تجاهل أثر ميراثنا القصصي فيما توصلنا إليه من قصص عن طريق الاحتكاك بأوروبـا. مثل بالحالات التي أوردناها عن إبراهيم سلامة، وإن كان شلش قد عد بصمات المقامات والأسلوب القديم في رأيه قد تمثلت "في سجع المقامات والاهتمام بالخبر لا بالشخصية، والاعتماد على السرد دون الحـوار" (١٣) وهو قول يناقضه ما تبيناه من أهمية الرمز والشخصية والحوار والقيمة ونزعة الفن للفن في المقامـات فـي المطرد التالي:

وعادة ما يظفر الغرب من التراث الشرقي برموزه الخالدة ثم هو يتصرف في البناء كيف يـشاء ذوق عصره.

ومن أثر ذلك كانت قصة الثعاب المكار the cunning fox لرومان دي رينارت "في القرن الثاني عشر إلى قصص "كانتربري لتشوسر"، فضلاً عن "جين دي لافونتين" في أمثاله في القرن السابع عشر، فقد مـزج لافونتين مادة كليلة ودمنة بنزعة سينكا وأكسبها طعما نقديا لاذعا [١٤] وقد حاول شوقي رد ذلك إلى العربيـة في رابع شوقياته، ونعتبر رواية استيفان زفاييج (٢٤ ساعة في حياة امرأة) استيحاء لرمز الحمامة المطوقـة في أدبنا [١٥].

لكننا وجدنا القيمة التعليمية أو النقدية تقع اتفاقًا حتى في الآداب التي تنزع إلى التعويل علـى المـذهب الخاص في التأليف أو حتى على اللامذهب في الكتابة.

ومن ذلك أن جان بول سارتر "عاد إلى تكرار القول في الغرض من اصطناع القصة والبدء بالبحـث فيها من عالمه الوجودي أو عالمنا البرجوازي".

ففي قصة الغثيان لا يبوء بطلها المثقف الميسور المنقطع الجذور "أنطوان روكنتان" من حياة الرحلـة والفراغ والتسكع في الشوارع البرجوازية والفقيرة، والجولان في العالم والمغـامرة ومـضاجعة "سـيمون" صاحبة مطعم "رند يفودي شامينو"، وغيرها، كما لم يرجع من حبه وفلسفته الكلامية مع حبيبته المتوقحة آني، وزميله العصامي المواظب على غشيان المكتبة ذي العقيدة الشيوعية، والتفكير الإنساني الناقص الموبوء الفم الذي افتضح شذوذه في المكتبة ذاتها.

- لم يبؤ روكنتان من كل هذا إلا بالغثيان والعبثية.

ولم يكن تداوي روكنتان بالاستماع إلى الموسيقا والغناء بجدية إلا قليلاً، حتى عدم الـشعور بجـدوى مراسيم ومظاهر العبادة وعمليات الإصلاح الاجتماعي والمادي والسياسي.

وإذ يعجز عن أن يبرز "كينونة كائن" يجد الوسيلة المؤثرة في التأليف (لنوع آخر من الكتـب) يجعـل الناس يحدسون خلف الكلمات وخلف الصفحات المطبوعة "بشيء فوق الكينونة" حكاية مثلاً.

والحكاية في رأيه "ينبغي" أن تكون جميلة وقاسية كالفولاذ، وأن تجعل النـاس يخجلـون بكينـونتهم، ويفكرون في حياتهم، ويقولون: "إن أنطوان روكنتان هو الذي ألفها، لقد كان شخصا أحمر الشعر، يتسكع في المقاهي، ويفكرون في حياته كما فكر هو في حياة زنجية، كان يجد بعض سلواه في غنائهـا كـشيء ثمـين ونصف أسطوري".

ومع أنه يدرك أن كتابه "لن يكون" أولاً إلا عملاً مضجرا ومتعبا "فإنه يعلم أنه لن يمنعه أن يكون، وأن يحس بأنه كائن، وهو واثق أنه ستأتي لحظة يصبح فيها الكتاب مكتوبا يسقط شيئًا من نـوره علـى ماضـي المؤلف، ويجعله في كهولته يتذكر عبره حياته من غير اشمئزاز، وينجح في قبول نفسه[١٦]".

لقد نجح أنطوان روكنتان في أن يجعل لنفسه مقاما كمقام الحارث بن همام وهدفًا كهدفه، وهـو عـين الهدف الذي يستهدفه أصحاب الواقعية الكاشفة الذين نوردهم في البحث، ولن نستثني من ذلك مدرسـة الفـن للفن هو هدف الكشف والاعتبار بتعبير عيسى بن هشام بطل المويلحي [١٧]، لكنه في الفنون الغربية والعربية الحديثة أضحى يستعمل الأسلوب البسيط والتحليل المسهب الموجب للتطويل بدلاً من الأسلوب الموقع.

- وفي قصة من قبيل (الفيلسوف) لمحمد السباعي نجد أن الموضوع واحد رئيس أيضا، يحفل بوصف تجربة لشاب يتعاطى الثقافة من الكتب، وهو صورة للمؤلف ابن القاهرة نفسها، وهو إذ يقع في حب جارته في بيئته المحافظة مطلع القرن العشرين يلجمه الحياء، ويأخذه نزوع رومانسي حاد بسبب الفقر والكبت أو العجز الذي أضافه الاحتلال الإنجليزي المهين للبلاد إلى نوازع التأثم والتواري التي زادت في طباع المصريين تحت الحكم العثماني.

ولكن محمد السباعي يعرف كيف يتغلب على كل هذه المشكلات النفسية والاجتماعية باصطناعه أسلوب المقامة الفكه الرصين الساخر، ضمنه ما شاء من التضمين والقبس الموفق من شواهد أشعار هي مواقف ومواجد حية أسعفه بها التراث القديم، وهكذا كانت قصته (الفيلسوف) مزاجا من الأسلوب البديعي في المقامات والمنحى الغربي في بناء الرواية، فجمع السباعي الكبير بذلك بين بساطة الموضوع وغنى الأسلوب، وعالج من مشاكل مجتمع القاهرة الخجول الهياب الحديث بمجتمع الحجاز السمح الفقيه معا.

وصحيح أن يوسف السباعي لم يسر على حرفية فلسفة والده الفنية، وقد أخبرنا في جرأة وظرف أيضا أنه سأل زوجه في ذوقها لشواهده من الشعر في قصصه، فأفتته بأنها تتخطاها في القراءة إلى سياق القصة النثري، ولكنه هو لم يحرم على نفسه غير محرم في الفن الجميل، وإن اقتصد في ذلك لا غير.

جعل محمد السباعي من ابن أبي عتيق (عبد ا بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق) وكان من أفاضل زمانه علما وعفافًا، وكان أحلى الناس فكاهة وأظرفهم مزاحا، ومن عمر بن أبي ربيعة شاعر الحجاز الإسلامي الميسور الغزال إبان الحكم الأموي للإمبراطورية.

جعل السباعي منهما في هفو نفسيهما للشعر والنشاط به وإليه، وجعل من تقدير ابن أبي عتيق للعاطفة عنصر إلهامه ومحورا لهيامه، بل جعل من ذلك حجة على عصرنا ممثلاً في "عم محمد" خادمه الصديق أو صديقه الخادم في الرواية، أورد السباعي له قول "عمر" المصور لحاله ولشأنهما معا:

قال لي صاحبي ليعلم ما بي ... أتحب البتول أخت الرباب
قلت وجدي بها كوجدك بالماء ... إذا ما منعت برد الشراب
أبرزوها مثل المها تهادى ... بين خمس كواعب أتراب
وهي مكنونة تحدر منها ... في أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا ... عدد الرمل والحصى والتراب
من رسولي إلى الثريا فإني ... ضقت ذرعا بهجرها والكتاب!

قال (الراوي) السباعي: إذ لما بلغ ابن أبي ربيعة البيت الأخير صاح ابن أبي عتيق قائلاً: "إياي أراد وبي هتف، ونوه، لا ذقت طعاما أو أشخص إليها حتى أصلح ما بينهما (واقتبس):

"قال مولى لبني تميم فنهض ونهضت معه، ثم خرج إلى السوق فاستأجر راحلتين فركب واحدة، وركبت أخرى، وأجد السير، فقلت: أرفق بنفسك، فقال: ويحك! أبادر حبل الوصل أن ينقطع، وما أفلح الدنيا إذا تم الوصل بين عمر والثريا".

فلما بلغا الثريا قال الفقيه: "يقول لك ابن عمك عمر: ضقت ذرعا بهجرها والكتاب، وعلـق الـسباعي يثير نخوة صديقه ويلين من جموده ويلقنه دروسا بعد أن أذاقه فنونًا وفنونًا: "فهكذا النبل وهكذا المـروءة.." وحمل صديقه رسالته إلى جارته، وكان في أثناء ذلك ومن ورائه مواقف ومهازل، ولكن تـم زواج البطـل وانتصر فيه تدبير الإرادة على عجز الفلسفة النظرية [١٨]، ويمثل هذا الأدب وهذا الفن اطردت الـصلة بـين الوجدانات العربية القديمة والحديثة أو الحجازية والقاهرية كما قلنا.

ولم يحدث ضرر كبير من تأخر النقل الكامل أو الموثق لمثل هذا الأدب العربي من الأدب اليوناني كما ذكرنا قبلُ أيضا، ذلك أن دور ابن أبي عتيق ونحوه في البيئة الحجازية أو دور البطل الثاني فـي فيلـسوف السباعي هو تجسيد لدور "إيروس" إله الحب في التعبير اليوناني الذي وصفه الطهطاوي بالإفراط في العبارة تجنبه المسلمون ولكنهم لم يرفضوا مؤداه – بأساليبهم.

"وإيروس" في دراسة الدكتور محمد غلاب المطبوعة سنة ١٩٥٢: هو الذي يصل علائـق الجنـسين ويربط بين قلوبهما. "رأى الباحث أنه" كأنه هو الذي ألهم بشار بن برد:

لا يؤيـسنك مـن مخـدرة	قـول تغلظـة وإن جرحـا
عسر النـساء إلـى مياسـرة	والصعب يمكن بعدما جمحا [١٩]

لكنه في عصرنا أيضا لقيت المقامة من ازدراء بعض النقاد ما يناقضه أخذ كتاب مشهود لهم بأسلوبها كما تبين، وليس بيرم التونسي بأقل خطأ من السباعي في النجاح والإبهار باصطناع مزيج من أسلوب المقامة ومنحى الأدباتي الشعبي في عامية مفصحة، وإذن فإن ما رآه طاهر أبو فاشا "معاظلة" لدى البديع والحريري – وذكر اليازجي [٢٠] إنما مرجعه إلى أن المقامة في أي عصر تصور جوانب أو تجارب ومواقـف منـه – وهي فن تعليمي استماعي، فإذا أريد النظر إليه مكتوبا فلا معدى عن بذل الفرق ما بين قوتي السمع والبصر الحاستين من قوة من جهد القارئ، ولو أنه فن ترفيهي ناجح أيضا، وأبو فاشا يعد رائدا في نقل المقروء مـن تراثنا إلى أسماع الجمهور عبر المذياع في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من هذا القرن، ولو أن ذلـك كان بما عكف عليه من ألف ليلة وليلة خاصة، وهو ما نتبين صلته بمحاولات العقاد وطه حسين والحكيم في الاتجاه النفسي بعد.

وللمقامة غاية اجتماعية – إن لم تكن كما هو الشأن في كليلة صريحة في القصد إلى تهـذيب الحكـم بالحكمة في المحل الأول – فإنما بعد تحتاج من الدارس الحديث إلى شيء من الصبر والوقـت والاسـتعانة بدراسة تاريخية لا بد من توفيرها قبل الشروع في الخوض فيها والإسراع في الحكم عليها، ويجوز تبسيطها أو التصرف في بنائها، تبسيط المقامة على نحو ما يصنع الأوربيون حين تدرج القـصص فـي المـستويات ليلائم أجيال القراء وأعمارهم صنيع تشارلس لام بقصص شكسبير، أو على نحو ما صنعت بنـت الـشاطئ برسالة الغفران، وطه حسين باللزوميات، وكما أملت بنت الشاطئ أن تفعل بالصاهل والـشاحج التـي يلـي التعريف بها.

أما علي السباعي وبيرم فقد لهج نقادنا بالثناء عليهما لتمرسهما بالقديم ونجاحهما في مخاطبة المعاصرين بأسلوب بليغ، وإن كنا نرى أن من عوامل رواج الكتابات الحديثة ما تتضمنه من ملاحظ عامية، وما يستعان لها من الرسوم المعبرة، إن كان الرسم قد اصطنع في تقديم كليلة ودمنة والمقامات إلى العامة منذ القديم – فضلاً عن كون الموضوعات المعالجة عند السباعي وبيرم موضوعات معاصرة، ولو أن مقاماتنا الحديثة لم تنج من بعض الإسفاف والابتذال الذي عصمت منهما المقامات الأولى.

ولم يستطع النقد الناقد لأدب المقامات وكذا أدب الرسائل أن يصرف الجادين من الأدباء والنقاد عندنا عن هذا المعين الإنساني الخصب، وإن افتقر طويلاً إلى التحقيق والإخراج الحديث، ولقد سرى أسلوب السباعي في ابنه المرحوم الأستاذ يوسف السباعي فوجدناه بسمة وحكمة ما فتئتا تلازمان أسلوبه، رغم ما أصبح يفتعله من وراء أبيه من حيل رومانسية ومسايرة للسياسة في قصصه المفرطة في الكثرة وهي كثرة أو إفراط لم يجد مؤلفنا الحديث بدا منها لتعويضنا عن التكثيف والثراء المركز القديم في المقامة والرسائل.

وتلتقي رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري مع قصص كليلة ودمنة في الحديث على لسان الحيوان الأعجم – ذلك المنحى في التعبير الذي وجدته الأستاذة عائشة عبد الرحمن شائعا في "دواوين شعراء الجاهلية وصدر الإسلام من قصص على ألسنة العجماوات أو حوار بينها وبين الشعراء [٢١] مما هو سابق في الأدب العربي على كتاب ابن المقفع [٢٢].

وقد رأت أنه غير بعيد عن هذا التمثيل لمنطق الحيوان الأعجم ما يحفل به ديوان الشعر العربي من قديم مناجاة الشعراء للنوق والحمام والظباء ووحش الفلاة ومخاطبتهم البوم والغربان في شؤم تعيبها أنها المنذر بخراب الديار وتصدع الشمل وفراق الأحباب. ومما أوردته من نص خبر سليمان وما علمه ا تعالى من منطق الطير "في الآيات ١٨ – ٢٣ من سورة النمل [٢٣] مما يمكن أن يضاف إليه الكثير من قبيل القصة الفلسفية العالية المغزى "حي بن يقظان" لابن طفيل في إسبانيا الموحدية ق ٦ هـ [٢٤] وقصة جزيرة النساء، فضلاً عن القصص الملحمي الشعبي العربي المعروف.

وقد عقدت الأستاذة الكبيرة مقارنة بين قصص كليلة ودمنة ورسالة الصاهل والشاحج في "مدخل موضوعي" منها لدراسة "عالم الإنسان في منطق الحيوان بين كليلة ودمنة والصاهل والشاحج [٢٥]، فوجدت أنه من حيث "الصياغة الفنية لمنطق الحيوان" قد كانت قصص كليلة ودمنة تلقى بأسلوب الحكاية في مجلس سمر الملك، حيث يتخيل "بيدبا الفيلسوف" قصصا شتى من عالم الحيوان، لا تربط بينها وحدة زمان أو مكان، سوى مسامرة الملك بها في هذا المجلس، كما لا يربطها بعالم الإنسان – في رأيها – سوى ما تقدمه من عبرة صريحة ومواعظ مباشرة، لما رأته الباحثة من أن "كل حكاية منها يؤلفها بيدبا الحكيم المعلم لتعطي عبرتها بتوجيه سؤال الملك عن مثل بعينه، فيسوق بيديا في القصة المتخيلة مضرب هذا المثل" [٢٦].

- وإذن ففي الأدب العربي القديم صنعة قصصية، وقد نجح بعض كتابنا المحدثين "في المزج بين القديم والحديث"، كالذي صنعه محمد السباعي ومحمد المويلحي وحافظ إبراهيم والرافعي وكثيرون قد صاغوا التاريخ صياغة قصصية واقعية أو انطباعية [٢٧]، ولكن الأدب بعد مروره في العالم العربي الحديث بالمراحل البيانية والتاريخية والرومانسية والواقعية، وما إلى ذلك،

تطور إلى صنعة قصصية أكثر تعقيدا أو تركيبا في الهندسة والمعمار الفني بما جعل القصة تتسع لضروب الفكر والسلوك في العصر الحديث، وتتنوع بتنوع مشكلات العصر القائمة.

- غير أن منحى أدبائنا الروائيين خاصة في احتذاء الصنعة القصصية في نمطها الغربي الأخير قد تفاوت حظه من الفشل والتوفيق بحسب تفاوت حظوظهم من الثقافـة والدرايـة بفلـسفة البيـان وبأصول الصنعة الروائية والقصصية وقيمها الإنسانية العامة.

ولقد مر بنا التجريب الناجح لمحمد ويوسف السباعي ونجيب محفوظ في منحاهم التأصيلي القصصي، ويمكن أن نسير مع تيار الصنعة القصصية في جانب آخر غاب عليه التأثير بالصنعة القصصية الغربية فـي نوعين من التآلف الروائي في فترتنا، وقد سار أحدهما (وهو البنائي المعماري) في طريق النمو والتركيـب الصناعي المناسب، وسقط الآخر وهو الواقعي الكاشف في شبهة التجارة والدعارة لسقوط الأسـلوب الفنـي الملائم لذلك من أيدي من حاوله من كتابنا، ولا سيما إحسان عبد القدوس في النظارة السوداء، وتوفيق الحكيم في الرباط المقدس، ونحو ذلك في تناول لفتحي الإبياري[٢٨].

كان المعمار الفني في زينب بسيطًا يقيم خطًا رئيسيا لحدث يأخذ في التصاعد حتى يصل إلى ذروتـه، وتتشعب عن هذا الخط بعض الخطوط البسيطة ليصب فيه من جديد، وبعض هذه الخطـوط يفيـد الروايـة وبعضها يحذف أو يمكن حذفه لثانويته، ولكن المعمار في عمومه بسيط ومتماسك، ومطرد هذا التناول للشكل في تعبير فتحي سلامة مع بعض مداخلتنا فيه مقنع لهذا المبحث.

فمع التطور نما البناء عند العقاد على خطين أو دار على محورين لشخصيتي هنـد الفلـسفية وسـارة الواقعية، ودار حولهما همام (كأنه أبو الحارث القديم) وهو يمثل العقاد نفسه في روايته سارة، ثم نمـا مـرة أخرى عند طه حسين في مثل دعاء الكروان التي أشرك فيها المؤلف – مستفيدا من فكرة العقاد في ديوانـه هدية الكروان – ذلك الطائر المصري الصداح لحوادث قصته الرومانسية التي لم تخل مـن سـمة واقعيـة ونزعة إلى المغامرة والسير إلى أبنية أكثر تنوعا وأوسع مجالاً وأكثر تعقيدا، كما نجد لدى نجيـب محفـوظ وثروت أباظة وهكذا. *

(هـ) وبعد ما بينا من نجاح أثر الترجمة في إحياء وإخصاب مناهج البحث، خاصة وما باين ذلك من آثارها في بعض الأدب الواقعي، فإننا نذكر أننا نرى أن النجاح والعمق قد تسنى للترجمة أن تظهرها في فني القصة القصيرة والشعر خاصة... ولم يمتلك ناحية التعبير الفني في الرواية من بعد محمد السباعي إلا أساتذة النقد وفلاسفته من أمثال طه حسين، وجميعهم قد وسعهم الاتجاه البياني بعد تفرق.

بيد أننا نرى أن التوفيق الذي أحرزه الكتاب المصريون وما لم يحالفهم فيه التوفيق في الرواية خاصـة إنما هو ظاهرة يمكن تعليلها بسببين معقولين: أولهما أن العصر في الفترة التي بدأ فيها الإنتاج المصري من القصة الطويلة كان قد تخطى في التأليف الروائي الطويل، ولم يبق ما يبرر استمراره إلا وسـائل العـرض المستحدثة ولا سيما السينما وتلك معتمدها على الصورة الحسية وانتشارها تجاري في الغالب، والسبب الثاني عكس السبب الأول، أي أن ملاءمة شكل القصة القصيرة لعجلة عصر السرعة من ناحية ولما فـي خزانـة الأدب المصري القديم والعربي الوسيط من هذا الفن البسيط فقد جعل الاتصال بالقصة القصيرة الغربية عـن

طريق الترجمة أو القراءة المباشرة يؤدي إلى إخصاب ملكات أدبائنا وتنشيط دافعهم إلى الإنتاج، ولعل فـي ذلك وفيما ذكرناه من مزاج الشعب المصري وفيما عرضناه من دور محمد السباعي الرائد في المـزج بـين أسلوب القصص القديم والحديث، وما اتجه إليه النقد من الاعتداد بالقيم العملية والتعليمية في الأدب، وكذا فيما سلمنا به من نجاح أدبائنا في الجانب البنائي من الفن الروائي دون الجانب الفني الأسلوبي - ضـوءا يهـدي الباحثين إلى أصول أدبية منشودة لنهضة في القصة العربية بعد فطمها عن القصص الغربي، وصـولاً إلـى الأسلوب الأمثل لمخاطبة الشعب والارتقاء بذوقه وتحقيقًا للمستوى الإنساني العالمي من هذا الطريق المحلـي نفسه.

(و) ولكنه قد تحصل لنا من أثر الترجمة في الأدب العربي حتى الآن أنها ربطت الأدب العربي عنـد الخاصة في مصر بالآداب الإنسانية شرقيها وغربيها، وقد عززت الآداب الشرقية النزعة الغنائية والفلـسفية في الشعر والقصة بصفة عامة، وبرز أثر الاتصال بالفكر الفرنسي في بعث روح البحـث ومناهجـه عنـد العرب، مدعمة بإضافات الغرب الهامة وتجاربه في هذا السبيل، كما أن للأسلوبية الرومانسية الفرنسية أثرها في المنفلوطي والزيات وغيرهما.

- وقد كان أثر الأسلوب القصصي الغربي في مجال القصة القصيرة أثرا بينًا لما رصد له من خبـرة خام وتاريخية في البيئة العربية، أما في مجال القصة الطويلة فقد تطورت قصصنا من صورتها البيانية إلـى الصورة المعمارية، ولم يكتمل حظ أدبائنا من فقه البيان القديم ورموزه القصصية وقيمه العقلانية، ومـن ثـم سقط من أيدي كتابنا المحترفين أهم ما ينبغي لهم من نوعها الواقعي، كما تخطي العصر محاولاتنا الملحمية.

- ولقد أخذ الأدب العربي يعطي مقابل الأخذ، وإن وقفت في سبيله في الغرب مفاهيم جائرة أخذت في التراجع.

هوامش الفصل الثالث

(١) النقد الأدبي الحديث – أصوله واتجاهاته ص ٣٠ – ٣٦ ويراجع "تطور المذهب الكتابي العربي الحديث عن أصـوله في التراث بدفاع عن البلاغة ص ١٢٥ ورسالتنا للماجستير ص ١٧٥ – ١٧٧، ومصورة مقارنـة لـذلك بملاحـق الدراسة.

(٢) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ص ٢٨٥ – ٣١٤.

(٣) مجلة الرسالة جـ ٤ ص ١٧٢٢.

(٤) كتاب الزيات في أصول الأدب ط الرسالة، واعتباره قصة عنترة ورسالة الغفران ملحمتين، ودعوته لاستكمال النقص في الأدب العربي بأشكاله الغربية في ضوء الرسالة ص ط وكذا ص ٥٣٩، وكتاب قمم أدبية للدكتورة نعمات أحمـد فؤاد ص ٢٢٨، ٢٢٩ ورسالتنا للماجستير: نهجه الأدبي وخطته الأدبية الـشاملة ص ٧٠ – ٧٥ و(ب) مـن ص ٧٣ خاصة.

(٥) فن الشعر، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٢.

(٦) فن الشعر.. ص ٢٦، ٣٠ وراجع تفسير الرافعي اللغوي لكلمة شعر أيضا في الاتجاه البياني، ومباينة أنيس بين الشعر وبين الموسيقى، وفي درجة التأثر بالغرب وبالشرق ص ٣٣٨ وتحصيله العلمي الإحصائي لظاهرة وقـوع التجديـد الموسيقي في الشعر الجديد في نفس إطار العروض القديم ص ٣٥٠ (آخر فقرة).

(٧) مؤتمر مجمع اللغة العربية، الدورة السادسة والعشرون ١٩٥٩ – ١٩٦٠ ص٣٨.

(٨) ابتداء من العدد السابع عشر، السنة السابعة، وراجع الاتجاه النفسي.

(٩) تطور النقد العربي الحديث في مصر ص ٣١ وراجع الاتجاه البياني.

(١٠) نفسه ص ٣١، ٣٢، وانظر الثلاثة المؤرخين للأدب في قائمة وافية بالاتجاه التاريخي، وراجع ترجمة محمد سـعيد، عن كورني، ص ٦٣.

(١١) المعركة بين طه حسين والرافعي حول أسلوب في العتب ص ٣٩٨.

* سجل رسائل الماجستير والدكتوراة بآداب القاهرة.

(١٢) هذه السمة كانت ولا تزال أهم مقوم في القصة وعليها عولت جردا تشارلز Girda Charles فـي اختيارهـا مـا اختارت من جميع قصص الإنسانية في مجموعة، ولها الغزير من التراجم القصصية ولا سيما من الـشرقيات فـي جميع لغات العـالم والغـرب ومجموعـة Gteat Short Stories of The world – Spring Books – 1976 ومنهجها في الاختيار مما رأته من السمة الأساسية حديثًا بدرجة فوق العادة من القصص المصري القديم، ومن غيره من لدن اليونان إلى الرومان والمصادر المسيحية، فضلاً عن الهندية والفارسية والعربية، وقصص جنـوب أمريكـا والولايات المتحدة.. إلخ ص X وXI.

(١٣) أخبار اليوم ١٢/ ٣/ ١٩٧٨ م "القصة القصيرة فن عربي أم فن غربي".

(١٤) هذا تأثير ممتد من ق ١٢ إلى ق ١٧ كما ذكر وقد ازداد بترجمة وماس نورث كليلة ودمنـة Kalila We Dimna لأول مرة في الإنجليزية سنة ١٥٧٠، مجلة أهلاً وسهلاً السعودية المطبوعة بالإنجليزية والعربية – عدد ٩ سـنة ٧ ربيع أول ١٤٠٤/ ٣/ ١٩٨٣ وسينكا رواقي مسيحي من القرن الأول ضمن الرواقيـة، ويرجـع فيهمـا إلـى المـادة Synicism و Stoicism.

(١٥) استيفان زفاييج/ ٢٤ ساعة في حياة امرأة، روايات الهلال، العدد ١٦٨، ديسمبر ١٩٦٢ م.

- وانظر الاستلهام الموفق للرافعي في قصيدته المنثورة (اليمامتان) وسائر القصة ص ٢٢٤ – ٢٢٨.

(١٦) الغثيان، تأليف سارتر، ترجمة د. سهيل إدريس، ط دار الآداب بيروت.

(١٧) تنظر مقامات الحريري، باريس ص ٣، وكليلة ودمنة ط التجارية ص ١٤٣، والمقامة ٣٥ للمويلحي (في باريس).

(١٨) قصة الفيلسوف أو ص ٢٩٨ – ٣٠٠ من ط الشركة العربية للطباعة والنشر.

(١٩) الفكر اليوناني والأدب الهيليني.. ص ٩٢.

(٢٠) تقديمه لكتاب مقامات بيرم التونسي آخر ص ٣١، نشر مكتبة مدبولي – ٧٣، واليازجي (١٨٠٠ – ١٨٧١) مذكورة صدد مقامته "مجمع البحرين" ص ١٧، باعتباره أقرب إلى الحريري من جميع الذين نسجوا على منواله.

(٢١) رسالة الصاهل والشاحج تحقيق د. عائشة عبد الرحمن ص٣٦.

(٢٢) نفسه ص ٣٦ – ٣٨.

(٢٣) نفسه ص ٣٨.

(٢٤) الفكر العربي ومكانه في التاريخ لديلاس أوليري ص ٢٥٧.

(٢٥) الصاهل والشاحج ص ٣٣.

(٢٦) الصاهل والشاحج ص ٣٩.

(٢٧) من حديث الشعر والنثر ط ١٠، دار المعارف ص ١٥.

* نموذج للقصص التاريخي من منظور انطباعي لدى الرافعي، مذيل بنمط من الشعر المنثور له يـرد فـي الاتجـاه البياني بالدراسة.

(٢٨) تراجع مجلة الأدب عدد ٣/ يونيو ٦٤ السنة ٩ ص ١٥٦ – ١٦٤.

- تناول بالعرض والتدقيق لدرسي الإبياري وسلامة القيمين بكتيبنا الأدب البياني والقـصة العربيـة، مؤسـسة شـباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٩ م.

الفصل الرابع

الترجمة من الأدب العربي إلى الآداب العالمية

(أ) ولتطور اهتمام الغرب بالعرب وثقافتهم والترجمة عنها إلى اللغات الغربية دراسات مفصلة، وقد أوردنا منها فيما مر أطرافًا من الاستشراق الألماني والمتجه للبحث في الساميات من خلال العربية والعالم العربي، غير أن منها في جامعة الدول العربية بحثًا استعرض مراحل هذا الاهتمام من المرحلة الثقافية الخالصة التي أقبلت فيها أوروبا في العصور الوسطى للتعلم من العرب في الأندلس وصقلية ونابلي وغيرها، إلى المرحلة الدينية التي استهدفت التبشير بالمسيحية والرد على المسلمين (ولا سيما في مقولة البعث بالأرواح دون الأجسام التي أسيء نقلها عن الشروح الرشدية وغيرها من الأفكار والعلوم الغربية واليونانية التي حركت تياري المسيحية الورعة والعلمانية المادية على السوية ضد الشرق) إلى المرحلة الاستعمارية المعروفة.

تلك المرحلة التي ارتبطت بإنشاء الجمعيات والدوريات الاستشراقية المشهورة [١].

وقد أوردت الدراسة من أسماء ملوك أوربا وقسسها ومبشريها ٢٧ اسما، وبينت مما نقل إلى اللاتينية من العربية ثلاث منوعات في الشعر وأربعا في التاريخ، وإلى الفرنسية ٨ في الشعر و٧ في اللغة والأدب و٦ في التاريخ والجغرافيا، وفي الإنجليزية والألمانية حوالي ذلك، فضلاً عما أجملته الدراسة من ذكر تراجم القرآن المتعددة التي سنقف على بعضها في البحث.

وقد قدر البحث المخزون من التراث العربي في مكتبات الغرب ٢٥٠,٠٠٠ مجلد، غير [٢] أن ختام البحث يضيف جهدين آخرين للاستشراق تمثلا في عقد المؤتمرات والإجازة على الأبحاث في العروبة، ومن ذلك مؤتمر استوكهلم ١٨٨٩، ودعوته إلى تأليف كتاب في تاريخ الأدب العربي يحفل بالكشف عن عناصر الامتياز في العنصر العربي ومقوماته الأدبية والحضارية التي مكنته من فتح بلاد أعرق منه وأقوى في وقت وجيز، ونحو ذلك، وما كان من إجازة علامة العراق محمود شكري الألوسي بكتابه بلوغ الأرب في أحوال العرب في مجلداته الثلاثة، وسيلي وضعنا له في سياق طوفان من التأليف في تاريخ الأدب العربي في الاتجاه التاريخي.

وبحث الألوسي بعد قد عد في قول باحثي جامعة الدول العربية دافعا لتعزيز ثقة العرب بأنفسهم وتاريخهم، وإن كان الغرب أراد به أصلاً فصل العرب عن الترك لإضعاف الخلافة العثمانية التي مثل العرب ثلثي سكانها، وهو استنتاج صحيح في عمومه، وهو يبرر ما ذهبنا إليه من القول باستحواذ التبشير والاستعمار على طاقة الثقافة العربية وتقييدها في حدودها السامية.

ومع ذلك فللبحث ولنا دور في إثبات أدوار ممتازة مخلصة جادة لبعض المستشرقين الذين توخوا الموضوعية، وقد أوردنا منهم عددا في البحث.

والواقع إنه من اليسير تصور عظم دور الاستشراق بالنظر في الجموع التي اشتملت علـى أعمـالهم، ومنها دائرة المعارف الإسلامية، وكتاب نجيب العقيقي "المستشرقون" ذو الأجزاء الثلاثة الكبيرة، فضلاً عـن تاريخ بروكلمان وفهارسه، وغير ذلك. وترجع أهمية نقول المستشرقين إلى لغات أوربا من التراث العربـي في العصر الحديث كما سيتبين إلى القيمة التاريخية والحضارية الأولى لهذا التراث، ولما له من قدرة علـى الكشف عن طبيعة الشعب العربي للغربيين، فأما أن الغرب تذوق البيان العربي ولا سيما القرآن فذلك أمـر آخر وله مواضعه في أبحاثنا، كذلك ليس الأمر أن الغرب قد أعوزه شيء من أدبنا الحديث لنهضته في العلم أو الأدب، فليس الأمر بهذا، وأسبابه يمكن تلخيصها فيما يلي:

إن العرب أنفسهم لم يتموا جمع تراثهم فضلاً عن درسهم له وتقديمه للبشرية في ثوب جديد، وتقيـيمهم لأدبهم وتاريخه ما زال تقييم العجلان بصفة عامة.

إن اتجاههم كان إلى الأخذ عن الغرب في العلم وحتى في الأدب نفسه، وربما كانت لهـم كمـا يقـول "بروكلمان" جولات في هذا وذاك بين جدران المدارس، وأنهم بعد لم يتبوءوا المكانة العالمية التي كانت لهـم في العصور الوسطى، والتي هي كائنة للغرب الآن، ولو أن هذا تقييم عام لا يمنع من وجود عناصر كمـال عديدة في بعض الأعمال ولدى بعض العبقريات، ولا سيما في مجال الشعر الغنائي والقصة الجمالية الطويلة والقصة الواقعية والقصيرة، أو في فن القول وصناعة البيان، أما عطاؤهم في العالم المادي فـسيتأخر إلـى الثمانينيات[٣].

إن اصطناعهم الأساليب الغربية هبط عن المستوى الأوربي وافتقد المستوى العربي الممتاز بالوضوح ونضوج الشخصية والصحة الجسمية والعقلية البدوية العربية القديمة، كما صرفهم عن استثمار البيان القرآني في الأدب والعلم والحياة إلى وقت إعادة النظر على الأقل.

وربما عد سببا جامعا لذلك كله ما تبيناه من حيلولة الفكر الاستعماري الإنجليزي والفرنسي دون انتفاع العرب بفلسفات القوة والاستنارة الغربية، ولا سيما الألمانية على وجهها، فضلاً عن توجيه الغرب للعرب أو دفعهم إلى الدوران في الدائرة السامية وتحريك متناقضاتها.

ولقد لخص مترجم كارل بروكلمان، فيما أوردناه له في الاتجاه التاريخي نحوا من هذا الفهـم، ولـيس يخفى أننا مستفيدون من بروكلمان ومن المفكرين الألمان استفادتنا من غيرهم ممن استعرضناهم في اتجاهات الترجمة، ومن استعراضنا للتاريخ السياسي العصري الحديث وما سبقه، فضلاً عما استفدناه من استعراضـنا لاتجاهات النقد ومدارسه.

(ب) ومع ذلك فالترجمة من العربية قد دلت على الدور الخاص الذي تقوم به العربية بين شتى لغـات الأرض، ولقد سار التأثر بها في الغرب شوطًا إلى أن تحولت أوربا من إكبار الثقافة العربية إلى التصدي لها بفعل الثقافتين الفرنسية والإنجليزية، ثم حصرها في الدائرة السامية، ولكن الترجمة من العربية إلى الثقافـات الأوروبية عادت مرة أخرى – منذ أربعينيات هذا القرن - تمثل ظاهرة ثقافية.

وقد بلغ ما تُرجم منذ سنة ١٩٤٨ م إلى ١٩٦٨ م؛ ٢٠٠٠ كتاب، منها ١٠٠٠ فـي الأدب ٥٠٠ فـي الدين ٥٠٠ في الموضوعات الأخرى [٤] عدا ما أُلف في اللغات الأجنبية مباشرة عن المـصري والعربـي،

ومنه كتاب الدكتور زكي نجيـب محمـود المطبـوع فـي لنـدن MODERN EGYPTIAN THOUGHT وكتابه SELF DETERMINATION الذي طبعته المطبعة الأميرية، وغيرهما من الكتب.

(ج) وقد كان يوجد من الغربيين من يتحمس لبيان فضل العرب والمسلمين في مجـال العلـم والأدب والحضارة كالذي كتبه "سديو" و"دوزي" في مؤلفاتهما من العلوم والآداب والفنون والصنائع المنـسوبة إلـى العرب، وكالذي نجده في كتاب الباحثة الألمانية سيجريد هونكه "شمس ا تشرق على الغرب"، الذي ترجمه فؤاد حسين وطبعته النهضة، وكالذي أبان عنه "ماسينيون" من فضل الأدب العربي علـى الآداب الإنـسانية جميعها من حيث الكيف[٥]، وما أبان عنه "نالينو" من فضل نظام الكتابة والحروف العربية على غيرها مـن لغات العالم، باعتبار الحروف العربية أنسب للعصر الحديث لميزة الاختزال غير المخل فيه[٦]، هـذا فـضلاً عن الأبحاث التي كشفت بالمقارنة عن وشائج لبعض الآداب الغربية في الأدب العبري القديم، أو تأثير واسع في علوم الغرب، وفضلاً عن الدور الذي قام به العلماء الألمان وعوقه الاستعمار عن أن يـؤتي أكلـه فـي البيئات العربية الإسلامية عند بروكلمان وروزنتال وغيرهما.

(د) بيد أن من المبالغة القول بأن الترجمة من العربية إلى اللغات العالمية في هذا القرن قد عاد لها مـا كان في إبان النهضة الأوروبية الحديثة، أو أنها – باستثناء ما بيناه في القرآن – قد كانت ذات أثر فعال فـي هذا العصر؛ نظرا لشيوع الفكر الاستعماري وحجبه الرؤية أمام المثقف الغربي، حقا لقد شـهد الطهطـاوي باعتراف غربيين باستفادتهم من العرب، وحقا استطاع الأفغاني والشبان المسلمون فـي بـاريس أن يـدفعوا رينان إلى تعديل بعض آرائه في الإسلام، ولكنه ما كاد يسدل الستار على هذه الرواية المثيرة حتـى أعيـد تمثيلها بين مسيو "هانوتو" والإمام محمد عبده، وفي جميعها لم تكن ردود المسلمين واهنة، ولكن أقوى منهـا كما قال أحمد أمين، رد المسلمين عليها بتبوئهم مكانة عليا في العلم والفلسفة [٧] ثـم رأينـا الروايـة تمثـل بحذافيرها مرة ثالثة بين كرومر والشيخ علي يوسف الذي كان هو أيضا من بين من تـصدوا لروزفلـت[٨] وكذلك بين قاسم أمين والدوق داركور[٩].

ولا زالت لنا وقفة مع ألفريد جيوم وعدد من المستشرقين في كتابنا "فـي محـاولات تقـديم القـرآن وترجمته في العصر الحديث" ووقفة أخرى مع ديلاسي أوليري وغيره في مؤلفنا قضايا النهـضة والقوميـة، يتضح بها هذا الدور التعصبي الذي لم يدم ضد العرب والمسلمين كما بينا.

ولقد سبق رينان إلى المحاضرة في "السربون" علماء حاضروا في فضل العـرب، بيـد أن أصـوات المدافعين أخذت في الخفوت بعد ذلك بينما تصاعدت أصوات العداء والتنكر مع تصاعد الطموح الاستعماري، حتى طوع رؤساء الدول للإفتاء فيها صنيع روزفلت رئيس الولايات المتحدة مجاملة لمضيفه لورد كرومـر الذي مهد له جولته في المستعمرات البريطانية، وأخذ روزفلت يطعن الإسلام والمسلمين بلـسان حـاد فـي الخرطوم والقاهرة والإسكندرية وغيرها، إلى أن وجدنا بعض شبابنا المتعلم يلفظ بما يلفظ به المستعمرون في أمر الثقافة والاجتماع الإسلامي والعربي.

ولا يزال شيء من مثله يعلق بآراء ومواقف لبعض أدبائنا وناقدينا، ومنهم من يمر بنا ذكره فـي أثـر الترجمة وغيرها.

هو منحنى أدبي وسياسي بلغ إحدى ذراه سنة ١٩٠٦ م في موقف برنارد شو الغيـور علـى الحـق الإنساني للفلاحين المصريين ضد السلطة الاستعمارية، وما لبث المنحنى أن هبط إلى قرب مستوياته الـدنيا سنة ١٩١٩ م حين اضطر الوفد إلى اكتراء بعض الأقلام الفرنسية ومنها قلم "أناتول فرانس" للدفاع عن حق مصر القانوني والإنساني في الاستقلال.

وكذلك قل حظ الأدباء الأوربيين المحدثين من الاطلاع على الأدب العربي، فلم يتعد ما قرأه "مورافيـا" مثلاً بعض الشعر العربي والفارسي الذي تفسده الترجمة في رأي الأديب الإيطالي نفسه، وكذلك لم يعد علمه بالأدب المصري ما وصفه بأنه صفات الفلاح المصري، وهو ما لا بد أن يكون على النحو الذي أوردناه من هيكل فيما مر أو على النحو الذي صوره الحكيم في "يوميات نائب في الأرياف" أو عبادة الأرض كمـا فـي "الأرض" لعبد الرحمن الشرقاوي إن جاز أن يكون لهذا الأخير أثر أيضا في الغرب. والأولى عـد الحكـيم والشرقاوي متأثرين بالماركسية في عمليهما.

ولم يتعد ما قرأه الأديب السويسري "ديرنمات" ألف ليلة وليلة وبعض مقالات الأمير أرسـلان، وأمـا "سومرت موم" فقد دعا العقاد إلى تجهيله لقول موم بأنه لم يسمع بالعقاد، وإن كان أنيس منصور - وهو من أجرى السؤال حول هذه القضية بين هذا العدد من الأدباء – قد أيد مورافيا في قوله بمسئولية العـرب عـن جهل الأوربيين بهم [١٠] ولا يستطاع بالطبع الادعاء بأن ما ترجم عن طه حسين والحكيم وغيرهم إلى اللغات العالمية في الفن القصصي قد أحدث حدثًا في الآداب الغربية، ومن الجائز أن ما ترجمه أمين الريحاني عـن المعري لم يتعد ذلك نظرا لما رأينا من أثر استعارة الأشكال الغربية في مستوى الأسلوب عندنا.

(هـ) وربما جاز في أمر الإنسانيات أن يلتبس الأمر على النقاد، ولكنه في مجال العلـم يكـون بينًـا واضحا، فإننا نستطيع أن نرجع إلى دائرة المعارف البريطانية ونقرأ مادة العلم مثلاً لكي نرى أن الكاتب مـا يكاد يسبقه لسانه إلى أن يفتتح المقال بقوله بأن "كافة مظاهر الحضارة والتمدن الحديث في الغرب قائم علـى أساس الحضارة الإسلامية" حتى يعود إلى التخبط والتحيز ليسلب العرب معظم فضلهم في هـذه الحـضارة ذاتها، وهو أسلوب غالب يعمد فيه المؤلفون إلى إظهار الموضوعية والانتفاع بسمة التراث العربي ثم يعمدون إلى إفساد الأثر الانطباعي العام عن هذا التراث نفسه؛ حتى لا يخرج القارئ بشيء من جدواه العلمية بعد أن يكون قد سلب الثمن أيضا على نحو مما بيناه في دراستنا عن مترجمات القرآن، وبصدد حديثنا عـن جيـوم والإسلام أيضا. وحقا قد حمى القرآن نفسه من ذلك كما سنبين، ولكن الطريقة مخنوسة، وقد نجحت في رأينا في أعقاب تأثير الاستشراق الأدبي غالبا حتى بعد ترجمة دائرته الإسلامية في مـصر[١١]. ورغـم أن مـن المعاجم الإنجليزية ما لا يزال أمينًا في شرحه للأعداد وصورها العربية ARABIC NUMIRALS وطريقـة الحساب العشري وعمليات الجمع والطرح التي لا تزال تسير من اليمين إلى اليسار، وعلى الرغم من الغزارة المدهشة التي يفاجأ بها كل من يتفحص محصوله اللغوي الإنجليزي أو غيره لعدد المفردات العربية في هـذا المحصول؛ فإن الغرب يتابعه في ذلك الرأي في مواطن نفوذه الأخرى يجري في العادة على تحميل العـرب والمسلمين خطايا غيرهم مجاراة للسياسة في الجور والغلو، حتى كانت الترجمة من التراث العربـي أو مـا يعرض منه خلال الألسن الأجنبية له آثار مقلوبة، وقد مر توسع لروزنتال في هذا.

(و) غير أنا نجد من آراء الغربيين في الأدب العربي بالإضافة إلى ما وقفنا عليه مـن دور أوليـري العنصري - آراء الذين خدموا في جيش الاحتلال أو بعض مكاتبه في الـشرق، ومـن هـؤلاء المعقـولان "مستيون" و"دورم" خلافًا لجيوم الذي نكتفي في هذا السياق بإيراد ترجمته لبعض مبادئ المسلمين فـي نقـد الحديث كما نقلها عن ابن خلدون باعتبارها من مظاهر الترجمة من الثقافة العربية إلـى اللغـة الإنجليزيـة، ويتبين مكانها بين ما ذكرنا من قواعد النقد ومناهج البحث التي عددناها من أثر حركة الترجمة، ثم ليـستبين لنا كيف استخدمها جيوم كحقيقة مقلوبة في مضادته للحضارة التي أنتجها.

وقد قدم لها جيوم بقوله: "إنها لفرصة سعيدة أن نجد ابن خلدون – وهو كاتب عربي عظيم من كتـاب القرن الرابع عشر ظلت كتاباته في تحليل فلسفة التاريخ لزمن طويل تعتبر ذات قيمة دائمة – قد كتب بعض فقرات ثاقبة في نقد تاريخ الحديث، مما يعيننا على الاهتداء في البحث التاريخي".

أما ترجمته الطريفة فقد بسطها في هذه السطور:

"Since it is of nature of tradition to incorporate false statement we must examine the causes which produce them. They are:

a) Attachment to certain opinions and schools of thought. Now if a man's mind is impartial in receiving tradition he examines it which all due care so that he can distinguish between the true and the false: but if he is provided by attachment to any particular opinion or sect he immediately accepts any tradition which supports it: and this tendancy and attachment cloud his judgement so that he is unable to criticize and scrutinize what he hears, and srait away accepts what is false and hands it on to theirs:
b) Over confidence in the probity of those who hand on the tradition:
c) Ignorance of the real significance of events, for many traditions, now knowing the significance of what they saw and heared, record events together with their own interpretations or conjectures and so give false information:
d) Belief that one has the truth. This is underspread and come generally from over confidence in narratos of the past.
e) Ignotance of the circumstances surrounding an ovent induced by antiquity or embellishment. The harrator hands on the story as he understands it with these misleadings and false elements. – Is Iam p. 20, 21".

والنص السابق لا يمثل ترجمة دقيقة بل تقريبية لما أمكن لجيوم أن ينقله من إطاره الخلدوني الخـاص في طبائع الأحوال في العمران [١٢] و"قواعد الشرح والتعديل" مما استغنى جيوم عن نقله بوصفه بأنه:

SOME PENETRA TING PARAGRAPH.

وسنرى كيف استغلها جيوم في غير ما تدل عليه من قيمة الفكر النقدي الإسلامي والعقل العربي معـا واللذين بلغا تمامهما على أيدي متأخري المجتهدين كابن تيمية وابن القيم والسيوطي وابن خلدون وغيرهم.

فبدلاً من مراجعة ابن هشام أو صاحب "زاد المعاد" استقى من الثعلبي، دون الـذين تنـاولوا الـسيرة بالتحقيق والتمحيص من العلماء، وكان ما فسره أو نقده من القرآن مسيرا بخطة عسف غريبـة متناقـضة، فضلاً عما أقر به من عدم فهمه لبعض النصوص، أو خاض فيه من الأحكام، وإن لم يتهم في ذلـك نفـسه، وجلي أن هذه القواعد النقدية الإسلامية قد تكررت في جانب أساسي من القواعد التي وقع عليهـا واضـعو المناهج الغربيون، ولا سيما ما أوردناه ضمن منهج لانسون عن الأخطاء التي يؤتَى من قبلها منهج البحـث" [١٣].

هوامش الفصل الرابع

(١) في الاستشراق والجمعيات والدوريات المتعلقة به رجعنا أيضا إلى مثال Orientalism and orientalists – Arab Islamic bibliography – the middle east library committee Guide وفهرس لها بتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان.

(٢) قدرها معهد المحفوظات العربية التابع لجامعة الدول العربية ١٩٥٧ بثلاثة ملايين مؤلفًا في نشرة نشاطه من سنة ١٩٤٧ – ١٩٥٧ م ص ٣ (هي الصفحة الأولى بعد صفحتي الغلاف).

(٣) اكتشف عالم سعودي دواء وصف بأنه أفضل لمرض السكر من نبات بري في الجزيرة العربية سجله في بريطانية في شهر نوفمبر ١٩٨٣، واسم العالم السعودي الدكتور جابر سالم موسى وهو عميد كلية الصيدلة بجامعة الملك سعود، وقد أطلق على الدواء اسم "سعودي" Ahlan Wasahlan Saudia. Dec, 1983 p. 49 وأذيع خبر اكتشاف الدكتور محمد الغار من جامعة المنصورة علاجا يشفي من السرطان في ثمانية أيام، وأنه سجل الدواء في جامعة كاليفورنيا – ووصف الاختراع بأنه معجزة حقيقية – (عن راديو القاهرة سماعا في نيجيريا، مارس أو إبريل ١٩٨٤).

(٤) الأهرام – مقال للدكتور زكي نجيب محمود في ٧٦/٥/٦ ص٧.

(٥) الأهرام في ٢٦/ ١/ ٤٩ – ١، ٢، ٣ – مقال "الثقافة العربية بالنسبة إلى المدنية العالمية "دوريات دار الكتب – القاهرة – وهو بعد مشار إليه بفهرسها جـ رقم ٢، ١١ عن المدة من ١٩٢٤ وعن المقال اقتبس الدكتور علي عبد الواحد وافي "فقه اللغة" ط ٣ ص ٢٨، ٢٨١ و ط ٤ ص ٢٤٣ واقتبس منه كذلك علي عبد العظيم لمجلة الأزهر – نوفمبر ١٩٧١ ص٢٧٢، ٧٧٤، وكذلك فعلنا في رسالتنا للماجستير ص ٢٧، ٢٨.

(٦) الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٢٨١، بيروت ١٩٧٠، عن الهلال ١/ ٣/ ٣٦ سطر ٢٤ ص ٥١٧، ص ٥١٩.

(٧) زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٩٣ ف ٢، ٣ وص٨٨.

(٨) أدب المقالة الصحفية في مصر ج ٤ ص ٢٧٧ و ص ١٢٢ – ١٤٤ ورسالتنا السابقة ص ٦٨.

(٩) قاسم أمين – بقلم وداد سكاكيني – نوابغ الفكر – ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ م ٣٠، ٣١ وملخص معركة الجدل بين رينان والأفغاني إلى قاسم أمين وداركور به أيضا من ص ٢٩ إلى ٣١ ويلاحظ الباعث السياسي من اشتراك روزفلت رئيس أمريكا، وهانوتو (وزير خارجية فرنسا) وكرومر مندوب بريطانيا على مصر في هذا المخطط الدعائي الضعيف.

(١٠) حواء، العدد ١٣٣١ – ٢٧/ ٣/ ٨٢.

(١١) دائرة المعارف الإسلامية مطبوعة بالإنجليزية في لندن، وقد بديء في ترجمتها في مصر سنة ١٩٣٣ م بتشجيع من الأمير عمر طوسون باعتبارها بعد دائرة البستاني ودائرة وجدي دعامة لدوائر عربية كبرى "يحترق الناطقون بالضاد شوقًا إلى ظهورها" ١ مقدمتها ص٦، ٥ (ظهرت الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٥٩ م).

(١٢) مقدمة ابن خلدون – الكتاب الأول – في حقيقة العمران في الخليقة ص ٥٧ – ٦٢ جـ ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٩م.

(١٣) راجع الترجمة عن الفرنسية فيما سبق، وفي المناهج الإسلامية أيضا يراجع روزنتال فيما أوردنا عنه في الترجمة عن الألمانية وإشارة تالية لموافي، فضلاً عن كتاب المرحوم الدكتور النشار "مناهج البحث عن مفكري الإسلام" طبعته دار المعارف سنة ١٩٦٠ م وتعويل الإسلام على العقل – رغم تحقق المعجزات فيه – في هامش تالٍ، ومن ألصق الأمور في ذلك بمجال مناهج البحث التي نحن بصددها ما استقرأه د. محمد غلاب الذي مر بنا دوره في

الترجمة للتراث اليوناني، وما استقرأه هذه المرة هو في كتابه "هذا هو الإسلام" من طرق النظر التي شرعها الإسلام:

- طريق النظر إلى ملك السماوات والأرض، وهو مراحل ودرجات.
- طريق الأسباب والمسببات.
- طريق الشعور الباطني.
- طريق المعقولات المحضة (طريق الفارابي).
- طريق التنسك، (هذا هو الإسلام، ط الشعب، ص ٣٧، ٤٦).

خلاصة الدراسة

التنور المصري على صعيد الترجمة

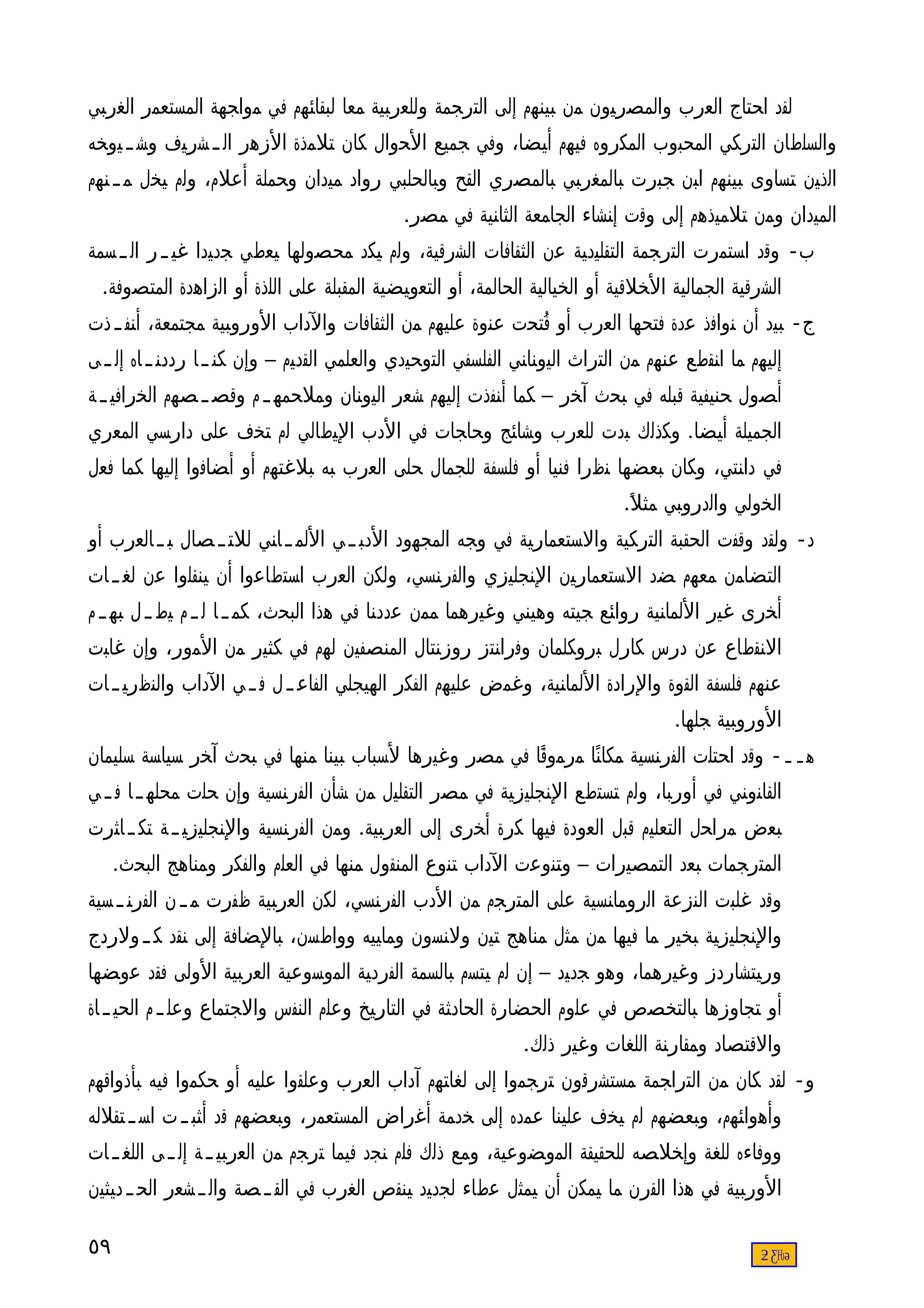
معالم – آثار - بيان مجدول – خلاصة

- معالم التنور المصري على صعيد الترجمة:

يتضح لنا مما سبق أنه في العالم العربي خاصة ومن دون سائر المستعمرات لم يمكن تغيير اللسان القومي لمجموعة الشعوب الناطقة بالعربية أصالة. وبدلاً من تغيير اللسان كله أو رسم الكتابة فقط نهضت الترجمة كما نهضت للعرب في عصورهم الوسطى المستنيرة بدور وسيط الاتصال بالأمم الأخرى، وكانت خط دفاع لهم أمام عدوهم أيضا. وقد احتاجها العرب للقبس من الغرب أو الرد عليه أو استرداد حق مسلم به للعربية في الثقافات الغربية أيضا.

أ- وقد اتخذت الترجمة اتجاهات ثلاثة جامعة من الثقافات الشرقية ومن الآداب والفنون الغربية ثم الترجمة من العربية ذاتها إلى لغات العالم، وفي كل ذلك كان التراجمة عربا وغير عرب يصدرون عن مواقف وأذواق متباينة، وقد أثمر ذلك نظرا أو جدلا ساعد على تجلية التراث ونشره وتعريضه للامتحان الحضاري المعاصر، ولقد تكاثرت أعداد المستعمرين في هذا العصر لحاجة المستعربين لفهم الشرق بطبيعة الحال، ولكنه قد كان منهم من والى اللغة ونافح عنها عن علم وموضوعية مضادة للاستعمار الإنجليزي، شأن ماسينيون ونالليتو وبروكلمان وروزنتال ومتز مثلاً، بل شأن "إدوارد ملبير" في أرجح ما نراه، وهو أيرلندي بعد.

وقد كان للعرب السوريين أدوار فردية بعضها ممتاز حقا في ميدان الترجمة والنشر وغير ذلك، بيد أن الترجمة في مصر مثلت جهدا منظما منذ انتخاب أهل الحل والعقد فيها لمحمد علي واليا عليهم عقب اندحار الغزو النابليوني مباشرة ١٨٠١ مما كان له عطاؤه في حركة القومية والتعريب الحاسمة في الشام سنة ١٩١٨ وقد نهض العرب إلى الترجمة حديثًا بنفس العزم الذي أقبلوه به عليها في قرون تاريخهم الزاهرة، وكان من دوافعهم الحديثة ضرورات التحديث والتصدي للغزاة بطبيعة الحال. وقد كان ذلك دافعا لهم أيضا إلى الرجعة إلى أصول حضارتهم والعناية بالعربية من لوازم ذلك، ولكن أثرا لسياسة إبراهيم بن محمد على في إيقاظ الشعور القومي العربي في مواجهة السلطان التركي على المسلمين العرب. وربما لابس ذلك شعور بالحاجة إلى تدارك ما سبق من إهمال العربية في المرحلة العثمانية المتأخرة. سياسة إبراهيم هذه، وإن قصر به العمر، ورد التحزب الغربي أباه إلى حدوده في مصر بعد معركة "نوارين"؛ كانت من لواقح الفكرة القومية وشواحذ نزعة الفتوة والاستعراب التي سرت في البارودي رائد الإحياء والتجديد في الشعر العربي الحديث، وكانت فكرة الوطنية – كما ذكرنا - قد غُرست في المصريين أيضا مدعمة بالحديث الشريف والأدب العربي منذ الطهطاوي في شبه جهاد من العزم والولاء.



لقد احتاج العرب والمصريون من بينهم إلى الترجمة وللعربية معا لبقائهم في مواجهة المستعمر الغربي والسلطان التركي المحبوب المكروه فيهم أيضا، وفي جميع الأحوال كان تلامذة الأزهر الشريف وشيوخه الذين تساوى بينهم ابن جبرت بالمغربي بالمصري القح وبالحلبي رواد ميدان وحملة أعلام، ولم يخل منهم الميدان ومن تلاميذهم إلى وقت إنشاء الجامعة الثانية في مصر.

ب- وقد استمرت الترجمة التقليدية عن الثقافات الشرقية، ولم يكد محصولها يعطي جديدا غير السمة الشرقية الجمالية الأخلاقية أو الخيالية الحالمة، أو التعويضية المقبلة على اللذة أو الزاهدة المتصوفة.

ج- بيد أن نوافذ عدة فتحها العرب أو فُتحت عنوة عليهم من الثقافات والآداب الأوروبية مجتمعة، أنفذت إليهم ما انقطع عنهم من التراث اليوناني الفلسفي التوحيدي والعلمي القديم – وإن كنا رددناه إلى أصول حنيفية قبله في بحث آخر – كما أنفذت إليهم شعر اليونان وملاحمهم وقصصهم الخرافية الجميلة أيضا. وكذلك بدت للعرب وشائج وحاجات في الأدب الإيطالي لم تخف على دارسي المعري في دانتي، وكان بعضها نظرا فنيا أو فلسفة للجمال حلى العرب به بلاغتهم أو أضافوا إليها كما فعل الخولي والدروبي مثلاً.

د- ولقد وقفت الحقبة التركية والاستعمارية في وجه المجهود الأدبي الألماني للاتصال بالعرب أو التضامن معهم ضد الاستعماريين الإنجليزي والفرنسي، ولكن العرب استطاعوا أن ينقلوا عن لغات أخرى غير الألمانية روائع جيته وهيني وغيرهما ممن عددنا في هذا البحث، كما لم يطل بهم الانقطاع عن درس كارل بروكلمان وفرانتز روزنتال المنصفين لهم في كثير من الأمور، وإن غابت عنهم فلسفة القوة والإرادة الألمانية، وغمض عليهم الفكر الهيجلي الفاعل في الآداب والنظريات الأوروبية جلها.

هـ- وقد احتلت الفرنسية مكانًا مرموقًا في مصر وغيرها لأسباب بينا منها في بحث آخر سياسة سليمان القانوني في أوربا، ولم تستطع الإنجليزية في مصر التقليل من شأن الفرنسية وإن حلت محلها في بعض مراحل التعليم قبل العودة فيها كرة أخرى إلى العربية. ومن الفرنسية والإنجليزية تكاثرت المترجمات بعد التمصيرات – وتنوعت الآداب تنوع المنقول منها في العلم والفكر ومناهج البحث.

وقد غلبت النزعة الرومانسية على المترجم من الأدب الفرنسي، لكن العربية ظفرت من الفرنسية والإنجليزية بخير ما فيها من مثل مناهج تين ولانسون ومابيه وواطسن، بالإضافة إلى نقد كولاردج وريتشاردز وغيرهما، وهو جديد – إن لم يتسم بالسمة الفردية الموسوعية العربية الأولى فقد عوضها أو تجاوزها بالتخصص في علوم الحضارة الحادثة في التاريخ وعلم النفس والاجتماع وعلم الحياة والاقتصاد ومقارنة اللغات وغير ذلك.

و- لقد كان من التراجمة مستشرقون ترجموا إلى لغاتهم آداب العرب وعلقوا عليه أو حكموا فيه بأذواقهم وأهوائهم، وبعضهم لم يخف علينا عمده إلى خدمة أغراض المستعمر، وبعضهم قد أثبت استقلاله ووفاءه للغة وإخلاصه للحقيقة الموضوعية، ومع ذلك فلم نجد فيما ترجم من العربية إلى اللغات الأوربية في هذا القرن ما يمكن أن يمثل عطاء لجديد ينقص الغرب في القصة والشعر الحديثين

خاصة، بيد أن ما درج عليه كثيرون من المستشرقين من ترجمة التصوف الإسلامي والقرآن الكريم مثل لنا أهم ظاهرة في اتجاه الترجمة من اللغة العربية إلى لغات العالم، ويكاد يذكر في فعاليته بما نقله الغرب قديما من تراث العرب العلمي ورموزهم الأدبية الخالدة.

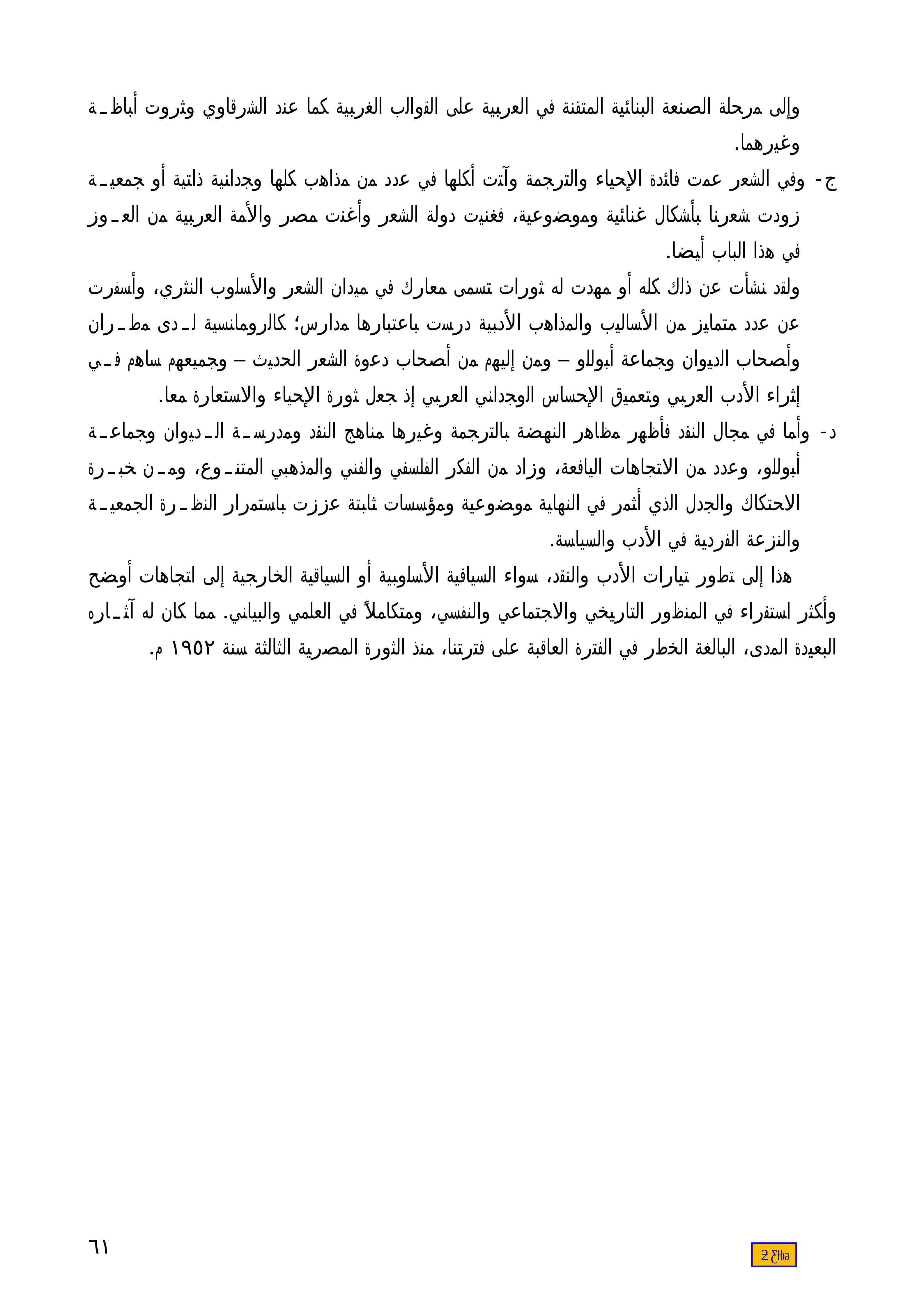
والمترجم عن القرآن بعد والمثار به لدى المفكر الغربي يمثل أهم عطاء للترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى (الإنجليزية في درسنا المستقل) وأما العطاء البارز الماثل للترجمة في الأدب العربي نفسه من اللغات الغربية فغير منكور في الشعر والقصة، ولكنه بحسب ما تبين لنا كان أعظم ما يكون في مناهج البحث التي هي سبل النهضة المنظمة بلا ريب.

٦- أثر التطور في الأدب: أشكال – اهتمامات – ملاحظات:

* تطور الأدب العربي تطورا كبيرا بفضل الإحياء والترجمة في أسلوبيته وصوره وقوالبه، وقد نمت النزعة الوجدانية بصورتيها الذاتية الفردية والذاتية الجماعية القومية، ولكن أساليب المعالجة في الجوانب الفنية الدقيقة ظلت قاصرة عن فقه بلاغة التغيير الجزئي في البلاغة العربية، كما سقطت منه بعض محاولات تقليد الأساتذة الغربيين في أسلوبهم في التعبير الدقيق أيضا. عَنِي الأدب العربي في مصر وغيرها من دول الجامعة العربية بالاتجاهات والمذاهب، ولكن ثمة فكرة جردناها من النظر في كل اتجاه درسناه تقريبا، وهي فكرة عجز أي اتجاه على حدة عن حكر الظاهرة الأدبية، وكون الاتجاه ما عد اتجاها إلا باعتباره في وجوه أو في سمة غالبة عليه:

أ- ولقد أفاد التنوير والإحياء والوجه الثقافي السلمي للاتصال بالغرب أدبنا العربي في مصر وغيرها، وجدد في أشكاله وموضوعاته واهتماماته، وأسلس من أسلوبه ونوع في مذاهبه في الشعر والنثر، ودفع بالقصة في الطريق من البيانية إلى المعمارية، وتراوحت محاولات قصاصينا بعد المويلحي بين الأسلوب التوقيعي المترصن على النهج القديم، وبين المنحى المزجي صنيع محمد السباعي، ثم انتخبت السلاسة الخلدونية في المنحى التاريخي والرومانسي والواقعي صنيع شوقي والجارم وطه حسين ونجيب محفوظ وإحسان وتوفيق الحكيم، ومن الأخيرين على الأقل سقطت محاولات تقليد روائع الأساتذة الغربيين في الأدب الكاشف مما ارتد عنه توق إلى إنشاء فلسفة خاصة للقصة العربية، وصار معولها في ذلك على البيانية المثراة بالإحياء والتحقيق والترجمة، ولا سيما بعد ظهور اتجاه في النقد الغربي يدعو إلى نحو من ذلك كما تمثلناه في جورج واطسن، وغير ذلك من النظريات الغربية التي نبهت إلى إصلاح المنحى النقدي العربي البياني أو (النظمي) ووجهت الجهود إلى دراسة الجاحظ وعبد القاهر ومن إليهم، وأعانت على إيقاف تيار الافتئات على البلاغة القديمة، مما أدى إلى الكشف عن فلسفتها، وحتى في ضوء من البنيوية الأسلوبية الغربية.

ب- وما من شك أن الرواية والقصة العربية الحديثة قد أفادت من الآداب الغربية، ولا سيما في البناء أو المعمار واطردت بها الاستفادة منذ محاولة محمد حسين هيكل العصامية في زينب، إلى نحو من الحبكة والصناعة عند محمود تيمور، والمحاولات التاريخية والواقعية والفنية المستكشفة عند طه حسين،



وإلى مرحلة الصنعة البنائية المتقنة في العربية على القوالب الغربية كما عند الشرقاوي وثروت أباظـة وغيرهما.

ج- وفي الشعر عمت فائدة الإحياء والترجمة وآتت أكلها في عدد من مذاهب كلها وجدانية ذاتية أو جمعيـة زودت شعرنا بأشكال غنائية وموضوعية، فغنيت دولة الشعر وأغنت مصر والأمة العربية من العـوز في هذا الباب أيضا.

ولقد نشأت عن ذلك كله أو مهدت له ثورات تسمى معارك في ميدان الشعر والأسلوب النثري، وأسفرت عن عدد متمايز من الأساليب والمذاهب الأدبية درست باعتبارها مدارس؛ كالرومانسية لـدى مطـران وأصحاب الديوان وجماعة أبوللو – ومن إليهم من أصحاب دعوة الشعر الحديث – وجميعهم ساهم فـي إثراء الأدب العربي وتعميق الإحساس الوجداني العربي إذ جعل ثورة الإحياء والاستعارة معا.

د- وأما في مجال النقد فأظهر مظاهر النهضة بالترجمة وغيرها مناهج النقد ومدرسـة الـديوان وجماعـة أبوللو، وعدد من الاتجاهات اليافعة، وزاد من الفكر الفلسفي والفني والمذهبي المتنـوع، ومـن خبـرة الاحتكاك والجدل الذي أثمر في النهاية موضوعية ومؤسسات ثابتة عززت باستمرار النظـرة الجمعيـة والنزعة الفردية في الأدب والسياسة.

هذا إلى تطور تيارات الأدب والنقد، سواء السياقية الأسلوبية أو السياقية الخارجية إلى اتجاهات أوضح وأكثر استقراء في المنظور التاريخي والاجتماعي والنفسي، ومتكاملاً في العلمي والبياني. مما كان له آثـاره البعيدة المدى، البالغة الخطر في الفترة العاقبة على فترتنا، منذ الثورة المصرية الثالثة سنة ١٩٥٢ م.

الترجمة: اتجاهاتها وأثرها في الأدب والنقد ومناهج البحث في العصر الحديث

(بيان وجيز)

- الترجمة من الثقافات الشرقية
- الترجمة من الثقافات الغربية:
- من الثقافة اليونانية
- من الثقافة الإيطالية
- من الثقافة الألمانية
- من الثقافة الفرنسية
- من الثقافة الإنجليزية

المترجم بين سنتي ١٨٢٢ – ١٩٤٢، في مطبعة بولاق:

- ٢٤٣ كتابا.
- ١٠٠٠٠ قصة من القصص المترجم.

من الثقافات الشرقية: الفارسية والهندية والصينية

رباعيات الخيام:

- ترجمة فتزجيرالد ١٨٥٩
- **محمد السباعي** [عن الإنجليزية
- **أحمد رامي [**١٦٨ رباعية، عن الفارسية] ١٩٢٤
- **أبو شادي** [١٣٠ رباعية، مجترئة، عن الفارسية]
- وديع البستاني ١٩١٢
- أحمد حامد الصواف [نثرا]
- **توفيق مفرح** [نثرا شعريا]
- **جميل الزهاوي** [نثرا شعريا]
- أحمد الصافي النجفي
- **عبد الحق فاضل** [شعرا ونثرا]

الفردوسي:

- **ملحمة الشهنامة**، نشرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٣ – **ترجمها الفتح بن علي البغدادي** في ق ٧
- **عباس مرزا خليلي**: ترجم قطعا منها نظما.
- **محمد عبد الحليم الفزاري**: نظام الملك وكتاب سياسة نامه، في ماجستير بإشراف عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب بجامعة القاهرة ١٩٥٠

حافظ الشيرازي:

- **أمين الشواربي**: أغاني شيراز: ترجمة وموضوعا للدكتوراة بجامعة القاهرة [٤٩٦ غزلية في مجلدين، بتقديم طه حسين] ١٩٤٣

السعدي:

- **جبرائيل مخلع**: ديوان كلستان ١٨٤٦
- قصص من الهند والصين وإيران:
- **عثمان حلمي وخليل شيبوب**: نشرهما ديوان "قبس من الشرق" ١٩٣٦
- **وديع البستاني:** المهابهاراتا الهندية.

من الثقافات الغربية: من الأدب اليوناني

- **رأي غلاب الحاكم في المترجم من اليونان إلى سنة ١٩٥٢.**

درس محمد خاف ا أحمد:

- المترجم من اليونان قديما وتكملة رفاعة ورفاقه له بالأدب.
- الريطوريكا والبونيطيقا.

رفاعة (١٨٠١- ١٨٧٣)

- مقروءة في سير فلاسفة اليونان والتاريخ العام، ونبذة في علم الميثولوجيا.
- ترجمته "ديوان قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر" (كتاب في الأنثربولوجيا والاجتماع – زوده بمقدمة بشرح كلمات وأعلام بترتيب أبجدي – نشره في روضة المدارس).
- كتاب بداية القدماء وهداية الحكماء (قدم له – أكمل تاريخ الخليقة – فصل عن خرافات اليونان وميثولوجية المصريين - خطوط تطور الأدب اليوناني وفنون الدراما غير واضحة).
- ترجمته "مواقع الأفلاك في وقائع تلماك" Les vetures de Telemaque، Fenelon (أول محاولة لتقديم الأدب الأسطوري في العربية – خلفيات الكتاب ومرامي ترجمته).

الإلياذة:

- **أميل البستاني**، نقلها شعرا ١٨٨٧ – ١٩٠٢
- **عنيزة سلام الخالدي**: في شكل قصة، متابعة لألفريد تشيرش.
- **شبلي شميل**: ترجمته أفجينيا في أوليد.
- **الأوديسة:** أمين سلامة: رحلات أديسيوس، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كتاب الأخلاق لأرسطو:

- **ترجمة أحمد لطفي السيد** في مجلدين من نحو ٦٠٠ صفحة مع مقدمة المترجم الفرنسي في ١٦٦ صفحة، وتصدير للمترجم في ٥٦ صفحة.

كتاب الخطابة لأرسطاليس:

- ترجمة وتحقيق إبراهيم سلامة، ١٩٥٣.

المنطق الأرسطي:

- تدريسه في الأزهر في سلم الثبوت، وفي إيساغوجي.
- تدريسه في المدارس الثانوية.

يونانيات طه حسين:

- نقل: نظام الأثينيين – إليكترا – إياس – أنتيجونا – أوديبوس، لسوفوكليس.
- والمستجيرات الفرس – السبعة يهاجمون طيبة – بروميثيوس مغلولاً – أجاممنون، لإسخيلوس – المتقربون – الصافحات.

*** من إسخيلوس خاصة:**

- أجاممنون ترجمة طه حسين (كما ترجمها لويس عوض).
- الفرس – الضارعات، لإبراهيم سكر – وباسم المستجيرات لعلي حافظ.
- المسرح الإغريقي، لإبراهيم سكر.

أفلاطون: (محاوراته):

زكي نجيب محمود:

- ١٩٣٦ أربعا من المحاورات.
- ١٩٥٥ الخامسة.
- قصة الفلسفة اليونانية (الأربعة أجزاء: ١٩٣٥ – ١٩٥٨).

من الأدب الإيطالي

الكوميديا الإلهية:

- **عبود راشد** ج١ (الجحيم) ١٩٢٦
- " " ج٢ (المطهر) ١٩٣١
- المحامي أمين أبو شعر ج٣ (النعيم) ١٩٣٨
- **د. سامي الدروبي** المجمل في فلسفة الفن لكروتشه ١٩٤٩
- **أمين الخولي** تأليفه مادة فن القول ١٩٤٩
- من أثر الباريني في Art de Diere على غرار Stelela Italiano
- **المستشرق الكاثوليكي ميجل آثين** في مواد كتابه أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية. من ١٩١٩
- جلال مظهر ومقولة انغماس أوروبا في عصر استعرابها.
- العقاد وهونكه وآخرون في مقولات مقاربة.
- **أنيس منصور** و١٠٠ قصة قصيرة من مورافيا.

من الأدب الألماني

العقاد: عن جوته في الديوان الشرقي

عبد الرحمن بدوي:

- عن جوته في الديوان الشرقي.
- الأنساب المختارة.
- حياة حائر بائر عن السندروف.
- ما ترجمه لفوكيه.

من عشاق الأدب الشرقي في الألمانية:

- هونكه – بروكلمان – جيته – نتشه – روزنتال – متز.
- **آدم متز**: مترجما في مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي (ترجمة أنيس فريحة ومراجعة وليد عرفات).
- **إلياس الحداد**: ترجمته ناثان الحكيم للسنج.
- **سليم سعدة**: أناشيد عن هيني.
- **إبراهيم ناجي**: دعاء الراعي لهيني.
- **محمد عبد اللطيف النشار** (نظما) تمثال الحب لهيني.
- **حسن صادق**: ترجمته الحب والدسيسة لفريدرك شيلر.
- **صبحي أبو غنيمة**: ترجمته قطعا أخرى.
- **محمد عوض محمد**: ترجم فاوست – هرمن دوريته
- **أحمد حسن الزيات**: آلام فرتر عن الفرنسية ١٩٢٠.
- جواد علي – مدحت مظلوم – شديد باز الحداد

الدكتور فيشر في التأليف في العربية للألمان.

- * **فيشر والفرنواني** ورأيهما في أثر الأدب العربي في الألمان (رأيهم في الأدب العربي).
- * توجه الجهد الألماني إلى الساميات.

الترجمة عن الفرنسية

قبل ١٨٩٩:

- **نجيب الحداد** رواية السيد لكورني.
- **محمد سعيد** السيد لكورني (نثرا).
- **محمد عثمان جلال** (١٨٩٨): حكايات لافنتين – تمصير مسرحية ترتوف لموليير.
- **محمد عبده وقاسم أمين** حول فكر (تين) في جنيف.
- **محمد عبده:** ترجمته كتاب سبنسر في التربية عن طريق الفرنسية.
- طه حسين منذ العشرينيات خطة وأهدافًا
- **أحمد حسن الزيات**: قصائد وأقاصيص عن الفرنسية.
  - ترجمة آلام فرتر لجيته عن الفرنسية ١٩٢٠.
  - رفائيل ١٩٢٦
  - في ضوء القمر وقصص أخرى.

محمد حسنين هيكل

- ترجمة تلخيص (تين) لكتاب ألماني عن البوذية بعد ١٩١٧.

- تعريف بتين ومذهبه النقدي بكتاب تراجم مصرية وغربية ١٩٢٩
- - جان جاك روسو: حياته وكتبه، ج ١ ـ ١٩٢٩
- - جان جاك روسو: حياته وكتبه، ج ٢
- **أحمد شوقي**: مستفيدا من لافنتين في نظمه للأطفال.
- **الأب نيقولا أبو هنا**: ترجمة أفضل للافونتين ١٩٤٣
- **جبران نحاس**: ترجم ونشر مختارات منها ١٩٤١

عن مليير:

- **مارون النقاش**: ترجمته رواية البخيل.
- **إلياس أبو شبكة:** عددا من مسرحياته.

في المناهج خاصة:

- محاضرات في الفلسفة لأندريه لالاند، ترجمة الزيات ويوسف كرم ١٩٢٩.
- منهجا لانسون وأنطوان مابيه في الأدب واللغة ١٩٤٦، ومع النقد المنهجي عند العرب عند مندور ١٩٤٩، ومطمحه إلى تطبيق المعايير العربية على الأدب الغربي (صفات الماهية – مقتضى الحال).

- تعريف به وبييف وبرنتير في مقدمة في الأدب الجاهلي لطه حسين ١٩٢٧.
- تقديم أحمد ضيف للانسون بالجامعة.
- تعريف شوقي ضيف بهم في الأدب الجاهلي.

من الأدب الإنجليزي

* محمد السباعي (ت ١٩٣١):

- مئات القصص.
- الأبطال وعبادة البطولة لتوماس كارليل.
- قصة مدينتين لديكنز ١٩١٢

من شيكسبير خاصة:

- نجيب حداد – خليل مطران – سامي جريديني – محمد عوض محمد – بعض أشعار شكسبير نثرا.
- **محمد عفت**: رواية ماكبث، شعرا.
- **أحمد باكثير**: الليلة الثانية عشرة (شعرا).
- **عيسى إسكندر المعلوف**: عدة مقطوعات في تأبين ماركوس أنطونيوس لقيصر.
- **عباس محمود العقاد**: فينوس على جثة أدونيس – مختارات عرائس وشياطين.
- اسبيرو يدون أبو مسعود: فسنوس وأدونيس.
- فؤاد الخطيب: الدسيسة.
- **حافظ إبراهيم**: نظم خنجر ماكبث.
- **أنيس المقدسي**: ترجمته الذكرى (بشائر في ١٨٥ صفحة In Memoriam.

عبد الرحمن بدوي:

- ترجمة Harold لـ بيرون في أناشيد نثرية يتخللها شعر ١٩٤٤.
- عدد آخر من روائع الأدب الإنجليزي.

لويس عوض:

- بروميثيوس طليقًا.
- أدونيس لشيللي ولآخرين:
- ملتون – بايرون – كيتس – لونفلو – بتلر – شـيللي – ووردز ورث – تنـسون – جـراي – هاردي – كبلنج – ماسفيلد – توماس مور.. إلخ.
- **زكي نجيب محمود**: (٣٠ مؤلفًا ومترجما من ١٩٣٥ إلى الخمسينيات).
- الأغنياء والفقراء لـ ج. هـ. ويلز ج١، ج٢
- آثرت الحرية لرافتشنكو
- نشأة الحضارة لـ وول ديورانت ١٩٥٠

- اليابان ١٩٥٠
- تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند راسل ج١، ج٢ ١٩٥٤، ١٩٥٥
- نظرية المعرفة ١٩٥٦
- أيام في أمريكا ١٩٥٥
- برتراند راسل ١٩٥٥
- حياة الفكر في العالم الجديد ١٩٥٦
- ديفيد هيوم ١٩٥٥

ومن مؤلفاته:

- جنة العبيط، أو أدب المقالة ١٩٤٧
- شروق من الغرب. ١٩٥١
- المنطق الوضعي. ١٩٥٠
- قصة الفلسفة الحديثة ج١، ج٢، ج٣.
- خرافة الميتافيزيقا. ١٩٥٠
- نحو فلسفة علمية. ١٩٥٥
- الفلسفة بين عثمان أمين ومحمود النشار

وفي النقد خاصة عن محمد مصطفى بدوي:

- مبادئ النقد الأدبي ا. أ "ريتشاردز ج١ ج٢
- العلم والشعر ريتشاردز.
- الحياة والشاعر، لستيفن سبندر
- الشعر والتأمل/ روز بريفور هاملتون (معارض لريتشاردز).
- كولاريدج.
- الفكر الأدبي المعاصر، لـ جورج وطسن ١٩٨٠.

من العربية إلى لغات العالم

مما نقل قديما حسب دراسة بجامعة الدول العربية:

- مما نقل إلى اللاتينية: ثلاث منوعات في الشعر، وأربع في التاريخ.
- مما نقل إلى الفرنسية: ٨ في الشعر، وسبع في اللغة والأدب، و٦ في التاريخ والجغرافيا.
- وفي الإنجليزية والألمانية: حوالي ذلك.
- فضلاً عن تراجم القرآن الكريم.
- المخزون في مكتبات العالم: ٢٥٠٠٠٠ مجلد – ٣ ملايين مؤلفًا.

وفيما ترجم بين ١٩٤٨ – ١٩٦٨؛ حسب زكي نجيب محمود في أهرام ٧٦/٧/٦.

- ١٠٠٠ كتاب في الأدب.
- ٥٠٠ كتاب في الدين.
- ٥٠٠ كتاب في الأنواع الأخرى.
- ٢٠٠٠ في المجموع في عشرين سنة.

خلاصة الدراسة

هكذا فإن الترجمة التي افتتح بها المصريون عهد التحديث، بعيد رحيل الحملة الفرنسية، والتي أسـهم فيها السوريون واللبنانيون وغيرهم من العرب، وأنهضوا بها في المنطقة كلها عهدا من التعريب والاستعراب في مضادة التتريك والفرنجة على السوية، عرفت ثلاثة اتجاهات:

- من اللغات الشرقية.
- ومن اللغات الغربية.
- ثم من اللغات العربية نفسها إلى لغات العالم.

ذلك في مقابل ما أخذوا في العصر الحديث مما سبق أن أعطوا فيه وأسهموا في عهد حضارتهم الزاهر.

ولقد كان للترجمة الحديثة، كما كان للترجمة في التاريخ العربي القديم دور في النهوض والتقـدم لـم يعف على الأصالة بقدر ما أعان على قدر من الإحياء والتأصيل والتجديد في البنَى والأشكال والمذاقات؛ كما أعان على قدر من التوازن في نظرة الغرب إلى العرب.

ولقد ربطت الترجمة الأدب العربي بالآداب العالمية شرقيها وغربيها، كمـا مثلـت الوجـه الأفـضل لاتصالنا بالغرب، في مقابل المقام الاستعماري المستكره الذي لم يدم، كما خلا مردود المترجم الميثولـوجي منها من أثر التوثن، نظرا لبصر التراجمة العرب منذ الطهطاوي – شأن من نحا نحوهم من أدبـاء العربيـة القدماء – بمقومات حضارتهم وتراثها الذي لا يخلط الخيال بالواقع، ولا يغالط العلم بالفن في مذاق مـذهبهم البياني الذي لا تنفصم فيه القيمة الجمالية عن القيمة الأخلاقية والنفعية في معظم الأحوال، وهو أمر أظهرت الترجمة أيضا بوادر عودة النقد الغربي إلى نحو منه كما مر.

ولقد عززت الترجمة من الآداب الشرقية – وإن كان للغرب دور في الصرف عنها وإثارة الاهتمام بها في نفس الوقت – النزعة الغنائية والفلسفية في الشعر والقصة بصفة عامة، كما أوجدت الترجمة عن اللغـات الغربية مذاهب أدبية، وفعلت فعلها في تكوين مدارس أدبية معروفة واتجاهات نقدية متنوعـة، أخـذت فـي التكامل [1].

وقد أبرز أثر الاتصال بالفكر الفرنسي والألماني والإيطالي إلى حد ما أيضا في بعـث روح البحـث ومناهجه عند العرب مدعمة بإضافات العرب الهامة وتجاربهم القديمة الصالحة، وإن كان من المبالغة القـول بأن الترجمة من العربية إلى لغات العالم قد عاد لها ما كان من أثر في الفكر الإنساني قديما، إذ وقفـت فـي سبيل ذلك مشكلات عديدة، قللت من اطلاع الغير على تراثنا وإنتاجنا؛ أو بالأحرى حصرته في نطاق حديث ضيق، وربما قصرته على مذاقات متغربة أحيانًا؛ مما يحوج إلى تجويد أساليب احتفالنـا بتراثنـا واتـصالنا بالغير، تعزيزا للفهم والإفهام عن هذا الطريق المزدوج الأمثل للاتصال: طريق الإحياء والترجمة.

---

(1) عبد الحكيم العبد/ تطور النقد والتفكير الأدبي في مصر في الربع الثاني من القرن العـشرين، دكتـوراة، الإسـكندرية ١٩٨٥م، فصل الترجمة بالباب الأول، وخلاصة له ص ٤٧٩ – ٤٩٩.

وقد أوردنا أن المترجم القرآني خاصة كان واضح التطور من الزهادة إلى الالتـذاذ والتكـسب إلـى الاستمتاع والاستشفاء فالإيمان، في محاولات ملتزمة أمينة قدر الإمكان.

وقد كان أثر الأسلوب القصصي الغربي في مجال القصة القصيرة أثرا بينًا؛ لما رصد له من خبرة خام وتاريخية في البيئة العربية، ظل أثرها فاعلاً في الآداب الغربية، أما في مجال القصة الطويلة؛ فقـد تجـاوز العصر محاولاتنا الملحمية، ولكننا طورنا قصصنا من صورتها البيانية إلى الصورة المعمارية، مغفلين إلـى حين بعض المزايا البيانية القديمة، وعاجزين أحيانًا عن فقه النواحي الفنية للقصة الغربيـة، ولا سـيما فـي نوعها الواقعي الكاشف الدقيق؛ مما لفت النظر إلى ضرورة البحث عن تقاليد قصصية عربية خاصة أمكـن مزجها بأساليب القصاص الغربيين في قصصنا الطويلة الجديدة [١].

وأما في مجال مناهج البحث – التي هي أعظم سبل النهضة بلا ريب – فقد كان أثر الترجمة أوضـح، سواء في نقل التجارب الجديدة أو في إحياء للمناهج القديمة أو في مكاملة أمكن التنظير بها في التأريخ للنقد.

ولعله قد اتضح مما أوردناه في بحث آخر لنا من مجاورة بين درس الدكتور علي سامي النشار لمناهجنـا وبين الدرس الاستشراقي المترجم المنصف لها والمجتزأ على السوية [٢] - صحة رأي أحمد أمين القائل بأن بلوغ الغاية في ذلك لا يكون بغير قيام العرب أنفسهم بدورهم المنوط بهم حضاريا[٣].

---

(1) عبد الحكيم العبد/ الأدب البياني والقصة العربية في النقد الحديث، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنـشر والتوزيـع، إسكندرية، ١٩٨٨ م.

(2) عبد الحكيم العبد/ علم الكلام في الإسلام؛ قضية محورية بين النقد والبلاغة والأصول والفلسفة، ط ٢.

(3) عبد الحكيم العبد/ حركة الترجمة، ص ١٢١، ١٣٠.